الأزهر الشريف
مكتبة المنارة الأزهرية

الحرية في المنهج الإسلامي

د. محمد مورو

www.kotobarabia.com

الحرية في المنهج الإسلامي

د/ محمد مورو

http://tahasafeer.blogspot.com/

طبقا لقوانين الملكية الفكرية

جميع حقوق النشر و التوزيع الالكتروني لهذا المصنف محفوظة لكتب عربية. يحظر نقل أو إعادة نسخ أو إعادة بيع اى جزء من هذا المصنف و بثه الكترونيا (عبر الانترنت أو للمكتبات الالكترونية أو الأقراص المدمجة أو اى وسيلة أخرى) دون الحصول على إذن كتابي من كتب عربية. حقوق الطبع الورقى محفوظة للمؤلف أو ناشره طبقا للتعاقدات السارية.

http://tahasafeer.blogspot.com/

مكتبة المنارة الأزهرية

الفهرس

مقدمة ٤
الإنسان في التصور الإسلامي ٨
التوحيد ١١
كرامة الإنسان /الحرية ١٣
كرامة الإنسان ١٥
الانتصار للمظلومين فريضة إسلامية ١٧
حرية التعبير: الفريضة والآداب ١٩
المنظومة الإسلامية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ٢٢
المنظومة الاجتماعية الإسلامية ٢٣
العدل ٢٤
عدم ازدواج المعايير ٢٥
اللا عنصرية ٢٨
العناية بالضعيف ٢٩
النقد والنقد الذاتي ٣١
العلم ٣٣
إنصاف المحرومين ٣٥
حماية الأقليات ٣٧
استقلال القضاء ٤٠
وثائق ٤٢
النظام الاقتصادي في الإسلام ٤٤
المشكلة الاقتصادية في الإسلام وحلولها ٤٨
حقوق الفرد في المجتمع الإسلامي ٥٠
كيف قضى الإسلام على الفقر والاستغلال ٥١
العدالة الاجتماعية في الإسلام ٥٣
في نقد الديمقراطية ٥٩
العولمة – الليبرالية الجديدة ٦٥
المصادر والمراجع ٦٦

http://tahasafeer.blogspot.com/

مقدمة

سؤال الإنسانية الدائم : ما هو النظام الذي يصلح للإنسانية وتسعد به، ويحقـق لهـا حياة مستقرة هانئة .... وبديهي أن إجابة السؤال بالنسبة للمؤمنين بالله ... هو أن الله هو الذي خلق الإنسان، ويعلم ما يصلحه وما يفسده، ومن ثم فإن القواعد التي وضحها الله تعالى وأرشد بها الإنسان، هي التي تحقق ذلك الهدف. وبما أن الإسلام هو دين الله الحق، وبما أن الرسول صلى الله علية وسلم هو النبي الخاتم، فإن النظام الإسلامي وحده هو الذي يحقق ذلك، ولكـن هذا في حد ذاته ليس حلا نهائيا، فالنظام الإسلامي يطبقه بشر، وثم فإنه مستوي ارتفاع هـذا البشر إلى مستوي النظرية هو شرط تحقيق ذلك، وهذه الشرط بدوره موجودة في كل الـنظم، فالنظم كلها يطبقها بشر، ومن ثم فإن من الممكن أن يحسنوا التطبيق أو لا يحسنوه، سواء كان النظام المطبق رباني أ وضعي ونخاص من هذا أن النظام الوضعي والنظام الرباني يتساويان في شرط التطبيق، ولكن للنظام الرباني فضل لا شك فيه بالنسبة للنظرية .....

من زاوية أخري فإن الخبرات البشرية ذاتها ومن خلال تجارب وقعت في التـاريخ القديم والحديث والمعاصر تقول أن النظم الوضعية فشلت في الأمرين معاً، فـي النظريـة والتطبيق على حد سواء، بل لقد عانت البشرية معاناة هائلة بسبب تطبيق الـنظم الكـسروية والهرقلية، بل والديمقراطية والاشتراكية والفاشية والنازية والشيوعية، بل إن مستوي المعانـاة كان بشعا، ففي ظل تلك الأنظمة وبالذات الديمقراطية منها حدثت إبادة لـشعوب الأمـريكتين وأستراليا وحدثت مذابح في معظم أرجاء العالم نفذها الرجل الأبيض، ونشأت الصهيونية ثـم دوله إسرائيل، وهى حاله تجسيم للظم على مستوي اغتصاب حقـوق شـعب وأرض وعلـى مستوي انتهاك حقوق الإنسان بصورة يومية وعلى مدار الساعة لعشرات السنين تحت سـمع العالم وبصره، والديمقراطية هي التي استخدمت القنبلة الذرية في الحرب العالمية الثانية وهي التي مارست نهب العالم ، ولا تزال قوات الدول الديمقراطية تنتهك سيادة الشعوب في العراق وأفغانستان وفلسطين ....الخ أضف إلى ذلك إفساد البيئة واستنزاف ثروات الأرض....الخ

والمحصلة أن هناك شقاء لا شك فيه ترتب على تطبيق تلك النظم، شقاء جماعي ... أما في التطبيق الإسلامي فإن المسألة مختلفة، صحيح أنه هناك تجاوزات، ولكنها تجـاوزات فردية لا ترقي إلى تشكيل ظاهرة، وهي مرفوضة طبعاً، أي أننا لو قارنا بين مستوي السعادة في ظل الحضارة الإسلامية ومستواها في الحضارات الأخرى وخاصة الغربية نجد أنه لصالح الحضارة الإسلامية بامتياز، ونحن هنا نتكلم عن الظاهرة فـي مجراهـا الرئيـسي، أو فـي المحصلة النهائية، ونكرر أن هناك استثناءات ولكنها لا تخرق القاعدة، هناك استثناءات إيجابية في الحضارات الأخرى، وهناك استثناءات سلبية في التطبيق الحضاري الإسلامي ولكن تظل

القاعدة هي نفسها وبديهي أن النظام الإسلامي به من الأتساع والمرونة ما يسمح بالاستفادة أيضا من الخبرات الإيجابية للتجارب الأخرى، وهذا لا يخالف الشرع الحنيف، بل هو فريضة أوجبتها الشريعة الإسلامية ذاتها، فالحكمة ضالة المؤمن أني وجدها فهو أحق بها.

الحديث عن الحرية في الإسلام، وحرية التعبير، ليس حديثاً عن النظام السياسي الإسلامي فقط، بل هو حديث يتصل بمنهج الإسلام ذاته، لأن الحرية في المنهج الإسلامي غاية ووسيلة في نفس الوقت، فلا إيمان بدون حرية، ولا إكراه على الإيمان ولا إكراه أيضا على الكفر، وبالنسبة لنا نحن المسلمين، فأننا نؤمن أن الإسلام في فطرة الناس، إذن لو تنافس الناس بحرية، لو لم يكن هناك قهر ولا عسف، لو لم يكن هناك تعصب مسبق لأي شيء لأصبح الإيمان سهل جدا، ولعل هذا واجب أمة الإسلام واجبها القضاء على الاستبداد السياسي والظلم الاقتصادي والتعصب، وإعطاء الناس حرية الاختيار، وفي تلك الحالة فإن الناس تختار الإسلام لأنه دين الفطرة، وحتى لو لم يختاروه فهم أحرار إذ لا إكراه في الدين، المهم أن أحد مهام الأمة الإسلامية هو تحقيق حرية الاختيار وإزالة كل العوائق التي تحول دون ذلك، ومن نافلة القول أن الجهاد في الإسلام في أحد أهدافه هو إزالة الأنظمة الاستبدادية التي تقهر الناس على الكفر، وتحقيق حرية الدعوة، فإذا تحققت حرية الدعوة بدون عقبات فلا داعي أصلاً للقتال.

وهكذا فالحرية هي في صميم المنهج الإسلامي من ناحية إقامة الحجة على الناس بتحقيق حرية الاختيار حتى يختار الناس الإسلام أو الكفر بحرية وحتى يتناقشوا ويتحاوروا بدون ضغوط.

الحرية أيضا ومن ثم حرية التعبير والتفكير تظهر في تصور الإسلام للإنسان، استخلافه في الأرض، ودورة فيها، حملة للأمانة ثم وجود نوازع للخير وللشر في نفسه، وهكذا فإن ذلك لا يتسق مع بعضه البعض بدون أن يكون ذلك الإنسان حرا. فلا معني لأن يكون الإنسان خليفة مسئول مكلف بدون هذه الحرية بكل أنواعها على أن من المهم هنا أن نحدد أن الإنسان يتكون من كيان مادي وروح وعقل، والروح خارج إطار فهمنا، والكيان المادي خاضع لقوانين وسنن المادة التي جعلها الله عليها، ويبقي أن الحرية منوطة بالعقل الذي يتميز به الإنسان على سائر المخلوقات، فالإنسان مسير فيما يخص الجزء المادي من تكوينين ولكنه مخير فيما هو متاح له من خير أو شر "ضمن مشيئة الله الكلية طبعا"، ويختار بين الخير والشر بعقلة ومن ثم فلا مسئولية على المجنون أو الصغير أو المكره وهو مسئول عن اختياره ويحاسب عليه يوم القيامة فضلا عن وجود الجزاء الدنيوي.

وهكذا فالحرية هنا شرط لازم لتكليف الإنسان وحملة للأمانة ومسئولية عن أعماله وأقواله.

وإذا كان ذلك شأن الإنسان حسب التصور الإسلامي، فإن النظام الإسلامي ككل يؤكد ويساعد ويحقق تلك الحرية، فنظام الشورى في الإسلام يحقق أوسع مناطق تلك الحرية، وكذا فإن النظام الاجتماعي الإسلامي يحقق الإشباع المادي لكل إنسان حتى لا تكون الحاجة حائلا دون حرية التفكير والتدبير، والنظام الاجتماعي الإسلامي بما فيه من تحقيق للعدل، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، النقد والنقد الذاتي، طلب العلم كلها تحقيق تلك الحرية فالعلم مثلا يزيد مساحة الوعي ومن ثم القدرة على حرية التعبير، والعدل يجعل الإنسان آمنا إذا عبر عن رأيه، والنقد والنقد الذاتي هو في صميمه نوع من حرية الرأي واعتبار ذلك واجب على المسلم تجاه الأمام وتجاه المجتمع وتجاه أخيه المسلم والنظام الأخلاقي الإسلامي الذي يمنع شرب الخمر والزنا والشذوذ ولعب الميسر ....الخ كلها تقوي الإنسان والمجتمع على أداء واجب حرية التعبير، بل حتى العبادات المباشرة كالصلاة هي نوع من الطاعة لله أولا ثم لتحقيق أهداف قوة النفس والبدن وعدم الخوف ألا من الله ومن ثم القدرة على إبداء الرأي دون خوف، وشهادة أن لا إله ألا الله ومن ثم الشجاعة في قول الحق والصيام، فمن لم يدع قول الزور والعمل به أي في المقابل أن يصر على قول الحق والعمل به، فلا حاجة لله في أن يدع طعامه وشرابه، والحج مثلا هو إجتماع لتبادل الرأي بين المسلمين كل عام، والزكاة هي نظام اجتماعي تحقق رفع الفقر والبطالة عن المجتمع ومن ثم يصبح غير خاضع في رأيه ألا للحق وليس لصاحب المال أو السلطان.....الخ

هناك أيضا محطات ومواقف كلها تدل على الحرية عموما وحرية التعبير خصوصا، وهناك وثائق تاريخية مثل وثيقة المدينة، أو خطب الرسول صلى الله علية وسلم والخلفاء الراشدين وغيرها تشكل علامات مضيئة في تاريخ الحضارة الإسلامية وكلها تؤكد على حرية الرأي.

على أننا يجب أن نعترف بأن أحوال المسلمين ليست على ما يرام، وأنه غاب عنهم الكثير منن تلك القيم وأن من الواجب عليهم استعادتها ليس من أجل أنفسهم فقط، فلن يتقدموا ألا بها، ولكن أيضا من أجل تقديم نموذج حي للشعوب الأخرى، وتقديم بديل حضاري رائع للنظم السائدة حاليا في العالم، والتي جلبت الشقاء للإنسان، وإذا استمرت يمكن أن تقود البشرية إلى كارثة ومن ثم فإن التقدم بالمشروع الإسلامي واجب وضرورة لإنقاذ البشرية وهذا واجب كل الأمة عموما، والعلماء منها خصوصا **وكذلك جعلناكم أمةً وسطًا لتكونوا شُهداء على الناس ويكون الرسولُ عليكم شَهيدا وما جعلنا القبلةَ التي**

كُنتَ عليها إلا لِنَعلَم من يتبِع الرسولَ ممن ينْقَلب على عقبيه وإن كانَتْ لكَبِيرةً إلا
على الذين هدى اللهُ وما كان اللهُ لِيضيع إيمانَكُم إن اللهَ بالناس لرؤُوفٌ رحـيم
[البقرة ١٤٣]

الإنسان في التصور الإسلامي

للحرية في الإسلام، ومن ثم كافة أشكالها بما فيها حرية التعبير أصل منهجي، يرجع إلى التصور الإسلامي عن الإنسان، ودورة في هذا الكون ومسئولياته التي أسندها إليه تعالي.

فالله تعالي خلق الكون كله، وخلق الإنسان أيضاً، وأفضل صور الإنسان هي في عبوديته لله تعالي، وهذا جوهر الحرية، لأن العبودية لله تعالى تحرر تجاه كل ما هو سوي الله تعالي. وقد سخر الله تعالى الكون لخدمة الإنسان **ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنةً ومن الناس من يجادلُ في اللهِ بغير علمٍ ولا هدى ولا كتابٍ منيرٍ** [1] (لقمان [٢٠])، وجعل الله الإنسان خليفة له في الأرض، وهذا تكريم ما بعده تكريم، **وإذْ قالَ ربكَ للملائكةِ إني جاعلٌ في الأرض خليفةً قالُوا أتجعلُ فيها من يفْسد فيها ويسفك الدماء ونحن نُسبح بحمدك ونُقدس لك قالَ إني أعلم ما لا تعلمون** (البقرة ٣٠)، **وإلى ثمود أخاهم صالحا قالَ يا قوم اعبدوا اللهَ ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغْفروه ثم تُوبوا إليه إن ربي قريب مجيب** (هود ٠٦١)، وقد أختار الإنسان أن يحمل الأمانة وهذه الأمانة هي حرية الاختيار، أو المسئولية، أو الإيمان أو العقل على اختلاف التفسيرات **يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذُنوبكم ومن يطع اللهَ ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴿٧١﴾ إنا عرضنا الأمانةَ على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقْن منْها وحملها الإنْسان إنه كان ظلُوما جهولاً** (الأحزاب ٧٢) وبداية فحمل الأمانة، واستحلاف الإنسان في الأرض، وتسخير الكون له تقابله مسئولية، فالإنسان مسئول أمام الله، فإذا أحسن وعمل فاز فوزا عظيما وإذا أساء وعمل عملاً سيئا خسر خسرانا مبينا **والذين آمنُوا واتبعتْهم ذُريتُهم بإيمانٍ ألحقْنَا بهم ذُريتَهم وما ألتْنَاهم من عملهم من شيء كُل امرئٍ بما كسب رهين** (الطور ٠٢١)، **فمن يعملْ مثْقالَ ذرة خيرا يره ۞ ومن يعملْ مثْقالَ ذرة شرا يره** (الزلزلة ٧ - ٨).

---

[1]) هناك عدد كبير من الآيات والأحاديث الشريفة التي تتحدث عن هذا التسخير.

والمسئولية حسب الطاقة طبعا **لا يكلفُ اللهُ نَفْسا إلا وسعها لها ما كسبتْ وعليها ما اكْتسبتْ ربنَا لا تُؤَاخذنْا إن نسينَا أَو أَخْطأْنَا ربنَا ولا تَحملْ علينَا إصرا كما حملتَه على الذين من قَبلنَا ربنَا ولاَ تُحملنَا ما لا طَاقَةَ لنَا به واعفُ عنا واغْفر لنَا وارحمنَا أَنتَ مولانَا فَانْصرنَا على الْقَومِ الْكَافرين** (البقرة ٢٨٦) وهو أيضا ليس مسئول عن تصرفات غيرة **تلك أُمةٌ قَد خَلَتْ لها ما كسبتْ ولكُم ما كَسبتُم ولا تُسأَلُون عما كَانُوا يعملُون** (البقرة ١٣٤) **قُلْ أَغَير اللهِ أَبغي ربا وهو رب كُل شَيء ولاَ تَكْسب كُل نَفْس إلا عليها ولاَ تَزِر وازِرةٌ وِزر أُخْرى ثُم إِلى ربكُم مرجِعكُم فَينَبئُكُم بِما كُنْتُم فيه تَخْتَلفُون** (الأنعام ١٦٤) وهكذا فالإنسان في التصور الإسلامي كائن عاقل مسئول مكلف، ويتحمل مسئولية اختياره وعملة، ومن ثم لا يمكن إسناد هذه المسئولية الخطيرة إليه دون أن يتاح له عقل يستطيع أن يميز به بين الخير والشر، وأن تكزن له حرية الاختيار بين مختلف المناهج والأعمال، وهكذا فالحرية تأتي في صميم المنهج الإسلامي، والإنسان ليس حرا في كل شيء طبعا بل هو حر فيما هو مسئول عنه ومكلف به، وهذا كله بالطبع في أطار مشيئة الله تعالى، ويمكن القول أن الله تعالى أراد أن يكون للإنسان إرادة. **ونَفْسٍ وما سواها ۞ فَأَلْهمها فُجورها وتَقْواها ۞ قَد أَفْلَح من زكاها ۞ وقَد خَاب من دساها۞** (الشمس ٧ – ١٠).

في إطار المشيئة الآلهة أيضا، جعل الله التفكير فريضة إسلامية أي جعل المعرفة بالنسبة للإنسان تكون عن طريق استخدام العقل أو يكون استخدام العقل أحد طرق الوصول أليها، وبدية أن هناك طرق أخري للوصول إلى الهدية والحق، الطريق الوجداني وهو لا يقل أهمية، وطريق الفطرة، وهذه تحتاج إلى إلغاء كل القيود والحواجز على الإنسان لتعمل فطرته بصورة سليمة ، أنها أشبه بالسير في الطريق الصحيح، ولكن القوي الشيطانية تضع علامات مزيفة لتفسد على الإنسان فطرته وتقوده إلى الطريق الخطأ، وهذه العلامات المزيفة مثل الاستبداد السياسي والظلم الاقتصادي الأعلام الفاسد ....الخ

ويجب أزالتها لتحقيق حرية الاختيار عن طريق العقل، أو عن طريق الفطرة والوجدان.... المهم أن التفكير فريضة إسلامية فرضها الله على الإنسان وأعطاه العقل الملائم ليقوم بها، ومن ثم يصل إلى المعرفة عن طريق العقل، وصمم الكون بطريقة معينة بحيث أن فيه من الآيات والتدبير ما يقود الإنسان إلى الحق ، والنصوص التي تدعو إلى أعمال العقل في القرآن الكريم كثيرة جدا، ويستخدم الله لفظ العقل ومرادفاته الكثيرة في تلك الآيات وكثير أيضا من الآيات تنتهي بمثل أفلا يعقلون؟ أفلا يتفكرون؟ أفلا يتدبرون؟ أليس فيكم رجل رشيد؟ أفلا تتذكرون؟.

وهناك دعوة أيضا للسير في الأرض والاتعاظ بما حدث في التاريخ ومعرفة السنن الكونية في مختلف العلوم [٢] **أَفَمن يعلم أَنما أُنْزِلَ إِليك من ربك الْحـق كمـن هـو أَعمى إِنما يتَذَكر أُولُو الأَلْبابِ** (الرعد ـ ١٩).

---

(2) تحدث القرآن الكريم عن الحكمة في ١٩ آية، وعن العقل في ٤٩ آية وعن اللب أحد مرادفات كلمة العقل. في ١٦ آية وعن النهي – أحد مرادفات العقل أيضا – في آيتين، وكذا عن التفكير والتدبير والعقل أو عن الآيات التي ترشد الإنسان والآيات التي تتحدث عن النظر قد تكررت أكثر من ٥٠ مرة في القرآن الكريم.

التوحيد

التوحيد هو الحقيقة الكبرى في هذا الكون، وهو المقوم الأول للعقيدة الإسلامية، والتوحيد هو الرسالة الجوهرية التي جاء من أجلها جميع الأنبياء من لدن آدم وحتى محمد ﷺ

وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون

(الأنبياء - ٢٥) وقد تعرضت عقيدة التوحيد- في حياة الأمم السابقة من أهل الكتاب- إلى الكثير من التحريف والخلط، إلا أن الله تعالى حفظ للإسلام والمسلمين باعتباره خاتم الأديان، وباعتبار الرسول ﷺ آخر الأنبياء، وباعتبار القرآن الكريم آخر الكتب السماوية، حفظ له القرآن من التحريف، وأصول العقيدة من التشويش **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** (الحجر - ٩) وهكذا فإن التوحيد هو أهم ما يميز أمة الإسلام عن غيرها من الأمم.

والتوحيد بالطبع شرط لصحة العقيدة والنجاة في الآخرة وهو أيضاً دافع مهم من دوافع الإبداع الحضاري وتحقيق العمران في الأرض،وكذا لتحقيق كل أشكال الحرية ، وللتوحيد أثار مهمة على الصعيد الحضاري، ذلك أن انفراد الله تعالى بالألوهية والربوبية، وإدراك أن جميع البشر عباد لله يعني بالتالي ضرب مفاهيم الطبقية والعرقية الاقتصادية والسياسية والجنسية واللونية، وليس هناك فرد أو طبقة أو جماعة بشرية أفضل من غيرها أو أحق بالثروة أو السلطة، والتفاضل لا يكون إلا بالتقوى.

والتوحيد أيضاً يمنع احتكار الدين لطبقة، أو المتاجرة به من قبل رجال الدين المنحرفين، أو ممارسة الاستبداد السياسي أو الاستئثار بالثروة، بدعوى أن هذا أو ذاك هو ظل الله على الأرض، أو المتحدث باسمه أو شعب الله المختار، فالله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وجميع الناس عباد لله.

ولقد حرص الإسلام على إدماج التشريع السياسي والاقتصادي والاجتماعي في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، حتى يكون الله وحده مصدر التشريع وبالتالي لا يستغل فرد أو طبقة أو مجموعة سلطتها في سن التشريعات التي تكرس سلطتها السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية ومهمة أمة الإسلام الأولى هي إخراج العباد من عبادة العباد بأي صورة من الصور إلى عبادة الله الواحد القهار.

وللتوحيد أهمية خاصة في المشروع الحضاري الإسلامي ذلك أن العمران البشري، كالعبادة، مرتبط بغاية هي إرضاء الله تعالى، ومرتبط بأسلوب هو الأسلوب الذي وصفه الله تعالى في تشريعه المحكم، وهذا أولاً يحقق أوسع الحريات، وأسلم وسائل العلاقات الإنسانية، بين الإنسان والكائنات والطبيعة في تناغم وتناسق يحفظ للأرض وللكون أمانه في الحاضر

والمستقبل، وفضلاً عن هذا فإن مقتضى التوحيد يعني الخضوع لله تعالى في ممارسة العمران البشري كوسائل وغايات، أي الخضوع لشريعة الله في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والعلاقات الدولية.. إلخ، وهذا بالطبع يحقق أفضل الفرص للإبداع الحضاري وأكثرها أمانا وعدلا وجدوى، ذلك أنه مهما أوتي فرد أو جماعة بشرية من العلم فإنها لا تحيط بأسرار الإنسان والكون وبالتالي لا تستطيع أن تضع التشريعات الصالحة للعلاقات بين البشر أو بين البشر والكون والكائنات فضلاً عن حرص هذا الفرد أو الجماعة البشرية على تحقيق مصالحها الخاصة دون الباقين، أما الله تعالى إله الناس جميعاً رب الناس جميعاً وخالق كل شيء، العالم بكل شيء فهو وحده القادر على وضع التشريع المناسب لكل البشر والكائنات والكون بدون تحيز وبعلم وشمول وإدراك مطلق، **أَلا يعلم من خَلَقَ وهو اللطيفُ الْخَبِير** (الملك - ١٤).

وللتوحيد أيضاً أهميته في إطلاق طاقات الإنسان التي أودعها الله فيه، لأن الإنسان الموحد يسير في اتجاه الفطرة، وبالتالي يوفر الوقت والجهد المترتب على الصراع مع الفطرة، والأمر أشبه بسرعة سفينة ذات كفاءة ميكانيكية معينة تسير في اتجاه التيار أو في عكس هذا الاتجاه، وبالطبع فإنها في الحالة الأولى تحقق سرعة أكبر وإنجازاً أكثر.

والإنسان الموحد يؤمن بأن الله هو أقوى الأقوياء، فلا يخاف غيره، وهو الرازق فلا يلتمس الرزق من غيره وهو المعز المذل وبيده مقاليد كل شيء وبالتالي يستطيع أن يواجه أعتى القوى معتمداً على الله تعالى، وهذا يجعل الأمة الموحدة أكثر إنجازاً وأقدر على خوض كل التحديات وبالتالي يكون للتوحيد الأثر الجبار في التقدم الحضاري والعمران البشري، وهكذا فالتوحيد هو العنصر الأهم في المشروع الحضاري الإسلامي، إذ لو قارنا بين جماعة بشرية تدرك أن عملها الحضاري مرتبط بالله في الغايات والوسائل ووجدت أمامها تحدياً أكبر من طاقتها، فإنها لا تفر أمامه بل تأخذ بالأسباب وتشحذ طاقاتها ثم تتقدم معتمدة على مدد الله وبالتالي تستطيع أن تصنع المستحيل، أما الجماعة البشرية التي لا تؤمن بمدد الله، أي تؤمن بالأسباب وحدها فإن الحسابات المادية المجردة قد تجعلها تفر من أمام التحديات التي تراها بالحسابات المادية أكبر من طاقتها المادية.

كرامة الإنسان /الحرية

تمثل الحرية القيمة الأعظم- بعد التوحيد- بالنسبة للمشروع الإسلامي في مـستواه العام والخاص، وتمثل القيمة الأعظم على الإطلاق بالنسبة للمشروع الحضاري العام، أي فيما يخص المسلمين وغير المسلمين.

ذلك أن رسالة الإسلام تستهدف تحرير الإنسان في كل زمان ومكـان، وتـستهدف تحقيق الحرية للبشر كل البشر، وحتى الجهاد في الإسلام موجه أساساً لرفع الظلـم والإكـراه ووضع البشر كل البشر على قاعدة الاختيار الحر بلا إكراه ولا تعصب ولا ظلم، **لا إِكْـراه في الدين قد تبين الرشْد من الْغَي فَمن يكْفُر بِالطاغُوت ويؤْمن بِاللّه فَقَد استَمـسك بِـالْعروة الْوثْقَى لا انفصام لَها واللّه سميع عليم** (البقرة ـ ٢٥٦).

وقُلِ الْحق من ربكُم فَمن شَاء فَلْيؤْمن ومن شَاء فَلْيكْفُر إِنا أَعتَدنَا لِلظالِمين نَـاراً أَحاطَ بِهِم سرادقُها وإِن يستَغيثُوا يغَاثُوا بِمـاء كَالْمهـلِ يـشْوِي الْوجـوه بِـئْس الـشراب وساءتْ مرتَفَقاً (الكهف ـ ٢٩)

ولَو شَاء ربك لآمن من في الأَرضِ كُلُّهم جميعاً أَفَأَنتَ تُكْرِه الناس حتَّـى يكُونُـواْ مؤْمنين (يونس ـ ٩٩) فالإكراه مرفوض إسلامياً، حتى ولو كان إكراه على الإسلام لأنـه في هذه الحالة يكون حراماً ولا يرضى به الله ويحاسب من يقترفه، والفـرق بـين الإسـلام والوثنية في أحد صوره هو الفرق بين الحرية والإكراه، ذلك أن الوثنية والكفر لا تتحقـق إلا بالإكراه والخداع، والإسلام لا يتحقق إلا بالحرية والاختيار الحر.

الإسلام يحرص على حرية التفكير، حرية الاختيـار "اختيـار العقيـدة والمـذهب والتصور"- حرية اختيار شكل النظام السياسي وحرية اختيار الحكام بكافة درجاتهم وحريـة تغيير الحاكم، حرية التنقل، حرية إقامة الشعائر، حرية الحوار، وحرية تبادل الرأي، ويرفض التعصب والاستبداد السياسي والقهر الطائفي والديني والقومي والعرقي.

أما الكفر فيحرص على القهر والنهب والظلم والاستبداد والقوى الشيطانية تحـرص على الحيلولة دون حرية الاختيار وتحرص على وضع علامات إرشادية مزيفة على الطريـق وتحرص على نشر التعصب، وتحرص على إلغاء حرية التفكيـر بكـل صـورة ووسـيلة، وتحرص على نشر الجهل والخرافة والتعصب للآباء والأجداد والأسـرة والقبيلـة والـوطن والقومية.. إلخ. **وقَالَ الذين استُضعفُوا لِلذين استَكْبروا بلْ مكْر الليلِ والنهارِ إِذْ تَأْمرونَنَا أَن نكْفُر بِالله ونَجعلَ لَه أَنداداً وأَسروا الندامةَ لَما رأَوا الْعذَاب وجعلْنَا الأَغْلالَ في أَعنَاق الـذين كَفَروا هلْ يجزون إِلا ما كَانُوا يعملُون** (سبأ ـ ٣٣).

والقرآن الكريم يطلق على هذا السلوك الشيطاني كلمة "المكروكلمة المكر تعني أصلاً الخداع والقهر واستخدام الوسائل المختلفة لإكراه الناس على العقيدة والتصور الـذي تريـده القوى الشيطانية **قالَ فرعون آمنتُم بِه قبلَ أَن آذَن لَكُم إِن هـذَا لمكْر مكَرتُموه في الْمدينَـة لِتُخْرِجواْ منْها أَهلَها فَسوفَ تَعلمون** (الأعراف ـ ١٢٣) ـ **يا قَومِ لَكُـم الْملْـك الْيـوم ظَاهرِين في الْأَرضِ فَمن ينصرنَا من بأْسِ الله إِن جاءنَا قَالَ فرعون ما أُرِيكُـم إِلا مـا أَرى وما أَهديكُم إِلا سبِيلَ الرشَاد** (غافر ـ ١٢٣) وهذه الآية على لسان فرعون.

وصحيح أن الناس تصل إلى الإسلام وتعتنقه بمجرد تحقيق حرية التفكير والحـوار والاختيار الحر، لأن الإسلام دين الفطرة، والعقل والكون والوجدان، والقلب يقود إليه، ولكـن حتى بصرف النظر عن هذا فإن أمة الإسلام مطالبة بتحقيق الحرية للبشر كل البشر بـصرف النظر عن النتيجة، إذ أن تحقيق الحرية غاية في ذاتها **وقَاتلُوهم حتى لاَ تَكُون فتْنَةٌ ويكُـون الدين كُله لِلّه فَإِنِ انتَهواْ فَإِن اللّه بِما يعملُون بصير** (الأنفال ـ ٣٩) أي فقاتلوهم حتى يكفوا عن إكراه الناس على الكفر فإن كفوا عن هذا فلا مشكلة، فقاتلوهم حتى يكفوا عن فتنة النـاس بالقهر والظلم السياسي والاقتصادي والاجتماعي فإن كفوا فلا عدوان إلا على الظالمين.

المسلم والجماعة المسلمة والأمة المسلمة مأمورون بالجهاد لتحقيق حرية الاختيـار "**لا إكراه في الدين**"، ولتحقيق حرية التنقل "**قل سير وا في الأرض**" إذ كيف يسير الناس فـي الأرض بدون حرية التنقل وبالجهاد ضد التعصب وضد الجهل والخرافـة، ضـد الاسـتبداد السياسي "**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**" صحيح حققه الالباني والتفكيـر فريـضة إسلامية، والله تعالى يدعو الناس إلى التفكير في عشرات الآيات القرآنية "**أفـلا يتفكـرون..**" "**أفلا يتدبرون..**" "**أفلا يعقلون..**" إلخ.

الدفاع عن الحرية فريضة إسلامية، وتحقيق الحرية بكل صورها وأشـكالها مهمـة المسلم والجماعة الإسلامية والأمة الإسلامية، بل إن المهمة الأولى لنا هي الدفاع عن حريـة الشعوب والطوائف والأقليات والأفراد على حد سواء، حرية الناس في الاختيار على مـستوى العقيدة، وعلى مستوى النظام السياسي والاجتماعي وعلى حقهم في اختيار طريقـة وأسـلوب الحكم وحق اختيار وعزل الحكام وعمر بن الخطاب يقول "متى استعبدتم الناس وقـد ولـدتهم أمهاتهم أحراراً".

وأبو بكر هو القائل "إن وجدتموني على حق فأعينوني وإن وجدتموني على باطـل فقوموني" والتقويم يعني حرية النقد وحرية خلع الحاكم أيضاً.

كرامة الإنسان

ومن مهام المشروع الحضاري الإسلامي تحقيق الكرامة للإنسان أي إنسان في أي زمان ومكان فلا قهر ولا تعذيب ولا تمثيل ولا انتهاك لهذه الكرامة بأي صورة من الصور، والأصل الإسلامي لحقوق الإنسان هو أفضل أشكال هذه الحقوق، لأنه ينطلق من أن كل البشر عبيد لله تعالى ومتساوون أمامه، فلا حق لبشر أن ينتهك كرامة بشر آخر ولا حق لجماعة بشرية ولا طائفة ولا دولة أن تنتهك حقوق الآخرين. وقد حرص الإسلام أيما حرص على صيانة حرمات الناس ولا يؤخذ الناس بالشبهات {يا أَيها الذين آمنُوا اجتَنبوا كثيراً من الظن إِن بعض الظن إِثْم ولَا تَجسسوا ولَا يغْتَب بعضكُم بعضاً أَيحب أَحدكُم أَن يأْكُلَ لَحم أَخيه ميتاً فَكَرِهتُموه واتقُوا الله إِن الله تَواب رحيم }الحجرات١٢ "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تناجشواولا تحاسدوا ......" صحيح تخريج السيوطي حققه الالباني"لا تضايقوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عوراتهم يتبع الله عورته.." "إذا ابتغى الأمير الريبة في الناس أفسدهم".

والشريعة الإسلامية تجيز فقء عين من يطلع على إلى أسرار الناس "لو أن امرءا اطلع عليك بغير إذن فقذفته بحصاة ففقأت عينه لم يكن عليك جناح" والقرآن الكريم يؤكد حرمة البيوت **يا أَيها الذين آمنُوا لا تَدخُلُوا بيوتاً غَير بيوتكُم حتى تَستَأْنسوا وتُسلموا علَى أَهلها ذَلكُم خَير لَكُم لعلَكُم تَذَكرون** (النور ـ ٢٧).

وحتى احترام طمأنينة الآخرين هي فريضة إسلامية "فلا يحل لمسلم أن يروع مسلماً".

الله تعالى كرم الإنسان، وجعله خليفة له في الأرض ونفخ فيه من روحه، وهذا المستوى العظيم الذي وضع الله الإنسان فيه- باعتباره خليفة له في الأرض وباعتباره كائناً فيه من روح الله، وباعتباره أكرم الكائنات تضع الأساس النظري والعملي لأفضل وأوسع الحقوق لصيانة كرامة الإنسان وحقوقه في نفسه وأهله وبيته وخصوصياته لأن الذي يعتدي على شيء من ذلك، أو ينتهك حقوق الإنسان فإنما هو يعتدي على أكرم المخلوقات أي على خليفة الله في الأرض، على كائن فيه من روح الله، والله تعالى جعل الملائكة تسجد للإنسان "" **ولَقَد خَلَقْنَاكُم ثُم صورنَاكُم ثُم قُلْنَا للْملآئكَة اسجدواْ لآدم فَسجدواْ إِلا إِبليس لَم يكُن من الساجِدين** (الأعراف ـ ١١) **ولَقَد كَرمنَا بني آدم وحملْنَاهم في الْبر والْبحرِ ورزقْنَاهم من الطيبات وفَضلْنَاهم علَى كَثيرٍ ممن خَلَقْنَا تَفْضيلاً** (الإسراء ـ ٧٠) **وإِذْ قَالَ ربك للْملائكَة**

إني جاعلٌ في الأرض خَليفَةً قَالُوا أَتَجعلُ فيها من يفْسد فيها ويسفك الدماء ونَحـن نُـسبح بِحمدك ونُقَدس لك قَالَ إني أَعلم ما لا تَعلمون (البقرة ـ ٣٠).

الانتصار للمظلومين فريضة إسلامية

الإسلام يحض المظلومين على عدم السكوت للظلم:

إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا (النساء - ٩٧).

ويحض المظلومين على الدفاع عن أنفسهم:

"**ما من مسلم يظلم مظلمة فيقاتل فيقتل إلا قتل شهيدا**".حديث صحيح تخريج السيوطي.

ويحض على التصدي للظالمين:

"من رأى سلطانًا جائرًا مستحلاً لحرم الله ناكثًا لعهد الله مخالفًا لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل أو بقول كان على الله أن يدخله مدخله".

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرية إسلامية وهل يوجد منكر أكبر من الظلم الإسلام يأمر بالانتصار للمظلومين والدفاع عنهم:

والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون. وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين. ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل. إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم . (الشورى - ٣٩)

وقال رسول الله ﷺ:

"ما من مسلم يخذل مسلمًا في موضع تهتك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته، وما من امرئ مسلم ينصر مسلمًا في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في مواطن يحب فيها نصرته".

كما قال ﷺ:

" لا يقفن أحدكم موقفًا يقتل فيه رجل ظلمًا فإن اللعنة تنزل على كل من حضر حين لم يدفعوا عنه، ولا يقفن أحدكم موقفًا يضرب فيه رجل ظلمًا فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه ".

" من الظالم في عاجله أو الدفاع عن المظلومين فريضة إسلامية، المظلومين سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً، فرداً أو جماعة أو أمة أو طائفة وفي عالم يسوده الاستكبار وتمارس دولاً وحكومات وجماعات بشرية وأفراداً الظلم على الآخرين، فإن الدفاع عن المظلومين يصبح رقماً مهماً في معادلة المشروع الحضاري الإسلامي والله تعالى شرع الجهاد وفرضه على المسلمين للدفاع عن المظلومين مسلمين أو غير مسلمين، في كل زمان ومكان ورفع الظلم عن البشر أياً كان دينهم أو جنسهم أو لونه. **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين** (البقرة ـ ١٩٣).

وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً (النساء ـ ٧٥).

والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون (الشورى ـ ٣٩).

وفيما يرويه الرسول ﷺ عن رب العزة "وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظالم في عاجلة أو آجله، وأنتقمن ممن رأى مظلوماً فقدر أن ينصره فلم يفعل".

ويقول "ما من مسلم يخذل مسلماً في موضع تهتك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موضع يجب فيه نصرته، وما من امرئ مسلم ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في مواطن يجب فيها نصرته".

ويقول "من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله ﷺ يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل أو بقول كان على الله أن يدخله مدخله".

ويقول "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه"

حرية التعبير: الفريضة والآداب

حرية التعبير فريضة على الحاكم والمحكوم معاً، فالحاكم مطالب بتنفيذها عن طريق الشورى، وعن طريق تحقيق العدل والنظام القضائي المستقل، ونشر التعليم، وتحقيق الاكتفاء الاقتصادي وغيرها من الوسائل التي تجعلها ممكنة بحيث لا تخاف الرعية من ظلم أو فقر أو تهميش إذا مارستها، والمحكوم مطالب بها فردا وجماعات في كل المجالات تجاه الحاكم وتجاه الآخرين، وبدون حرية التعبير وكل ما يؤدي إليها يحدث خلل في المجتمع الإسلامي، فالمسلم مطالب بعدم كتمان الشهادة السياسية والاجتماعية والقضائية على حد سوء **وإن كُنْتُم علَى سفَرٍ ولَم تَجِدوا كَاتبا فَرِهان مقْبوضةٌ فَإِن أَمن بعضكُم بعضا فَلْيؤَد الذي اؤْتُمن أَمانَتَه ولْيتق اللهَ ربه ولاَ تَكْتُموا الشهادةَ ومن يكْتُمها فَإِنه آثم قَلْبه واللهُ بِما تَعملُون عليم** (البقرة - ٢٨٣).

والنصيحة فريضة إسلامية لله ورسوله وللأمام ولعامة المسلمين وخاصتهم، والتواصي بالحق مثلا فريضة إسلامية لا بد أن يقوم بها الفرد والجماعات تجاه بعضها بعضا، **والْعصرِ ۞ إِن الإِنْسان لَفي خُسرٍ ۞ إِلا الذين آمنُوا وعملُوا الصالِحات وتَواصوا بِالْحق وتَواصوا بِالصبرِ** [العصر - ٠٠١-٠٠٣)، **وما أَدراك ما الْعقَبةُ ﴿١٢﴾ فَك رقَبة ۞ أَو إِطْعام في يومٍ ذي مسغَبة ۞ يتيما ذَا مقْربة ۞ أَو مسكينًا ذَا متْربة ۞ ثُم كَان من الذين آمنُوا وتَواصوا بِالصبرِ وتَواصوا بِالْمرحمة** (البلد ٠١٢-٠١٧)، **يا أَيها الذين آمنُوا لاَ تُحلوا شَعائِر اللهِ ولاَ الشهر الْحرام ولاَ الْهدي ولاَ الْقَلائِد ولاَ آمين الْبيتَ الْحرام يبتَغُون فَضلاً من ربهِم ورِضوانًا وإِذَا حلَلْتُم فَاصطَادوا ولاَ يجرِمنكُم شَنَآن قَومٍ أَن صدوكُم عنِ الْمسجِدِ الْحرامِ أَن تَعتَدوا وتَعاونُوا علَى الْبر والتَّقْوى ولاَ تَعاونُوا علَى الإِثْمِ والْعدوانِ واتقُوا اللهَ إِن اللهَ شَديد الْعقَابِ** (المائدة ٠٠٢)، **ولْتَكُن منْكُم أُمةٌ يدعون إِلَى الْخَيرِ ويأْمرون بِالْمعروف وينْهون عنِ الْمنْكَرِ وأُولَئِك هم الْمفْلحون** (آل عمران ١٠٤).

بل إن خيرية هذه الأمة ترتبط بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا لا يتحقق في جزء كبير منه ألا بحرية التفكير **كُنْتُم خَير أُمة أُخْرِجتْ لِلناسِ تَأْمرون بِالْمعروف وتَنْهون عنِ الْمنْكَرِ وتُؤْمنُون بِاللهِ ولَو آمن أَهلُ الْكتَابِ لَكَان خَيرا لَهم منْهم**

المؤمنون وأكثرهم الفاسقون (آل عمران ١١٠)، **لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ۞ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون** [المائدة ٧٨-٠٧٩]

بل أن الله تعالى فرض قيام مجموعة من الناس "نفر من كل طائفة" ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذ ارجعوا إليهم وهذا بداية لا يتحقق ألا بالتعليم وبحرية التعليم معاً **وما كان المؤمنون لينفروا كافةً فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفةٌ ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** (التوبة ١٢٢).

ومن الواجب الاستماع إلى الحكمة أو الموقف الصحيح وفي الحديث الشريف (**إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه أوشك الله أن يعمهم بعقابه**) تخريج السيوطي في الجامع الصغير حققه الألباني وقال حديث صحيح وعمر بن الخطاب القائل "رحم الله امرؤ أهدي إلى عيوبي" وهو الذي يحمد الله تعالي أن يكون في أمة الإسلام من يقوم الخليفة إذا رأي منه اعوجاجا، ويستمع إلى امرأة تخطأ رأيه في المهور مسترجعا قائلاً "كل الناس أفقه منك يا عمر" وعمر بن الخطاب نفسه أستمع إلي نقد الرجل وهو على المنبر أي أمام جمع من الناس عندما قال لهم أسمعوا وأطيعوا فقال له الرجل أنك وزعت القماش علينا وأخذت منه نصيبا اكبر، لأنك رجل طويل لا يكفي نصيبك من القماش لعمل هذا الثوب الذي ترتدي، فطلب عمر من أبنه أن يقوم ويشهد أنه أعطي أباه نصيبه فضم النصيبين على بعضهما بعضا فكان هذا الثوب عندئذ جلس الرجل وقال الآن نسمع ونطيع، وكان عمر رضي الله عنه يستشير حتى الكفار في الأمور التي هم خبراء فيها فقد استشار الهرمزان في الحرب الفارسية وكان عمر أيضا لا يقصر مشورته على الشيوخ بل يلجأ إلى الشباب ويستشيرهم كما روي يوسف بن الماجشون "فكان إذا أعياه الأمر دعاهم فاستشارهم لحدة عقولهم.وكان أسلوبه حين يريد اختيار أحد الولاة أن يذكر الشرط ويترك للسامعين الاختيار.

وهكذا فإن حرية التعبير فريضة إسلامية على الحاكم والمحكوم معاً ولكن لها آدابها التي لا تصلح بغيرها، وفي الحقيقة فإن كل الفرائض الإسلامية أيضا لها آدابها، وليس هذا انفراد بتلك الآداب بالنسبة لحرية التعبير، ومن تلك الآداب أن تكون حرية التعبير والنصيحة تستهدف صالح المجتمع وإلا تكون لأغراض مريبة، وألا تحدث فتنة حتى ولو كانت نصيحة صحيحة، فالمحافظة على الاستقرار ووحدة الجماعة فريضة أكبر، وهنا لا بد من الموازنة وحساب المصالح والمفاسد، ولا بد أن تكون طريقة النصح وممارسة حرية التعبير فيها سماحة، وألا تكشف عورة لفرد أو جماعة، وألا تنتهك حقوق الآخرين، وعلى أن تكون في

إطار التراحم، تراحم الكبير بالصغير وتوقير الصغير الكبير، وألا تكون حقا يراد بـه باطـل

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين (النحل ١٢٥)، **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون** (الحجرات١١).

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (الحجرات ١٢).

فإذا أراد إنسان أن ينهي إنسان آخر عن عمل حرام فلا يحق له أن يدخل بيته مثلا دون استئذانه ليقوم بذلك ولا ينظر داخل البيت أو يسترق السمع عليه فيعرف أنه يشرب خمرا مثلا، فيأمره وينهاه، ولعل في قصة عمر بن الخطاب عندما استرق السمع ونظر ودخل بيت أحد الرعية دون استئذانه، وأراد أن يعاقبه على شرب الخمر، فقال الرجل إنني فعلت حراما واحدا، وأنت ارتكبت عدة محرمات، فتراجع عمر وأقر الرجل على صحة كلامه.

خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين (الأعراف ١٩٩).

لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما (النساء ١١٤).

ولعل من أهم آداب حرية التعبير، ألايشتد الإنسان على الآخرين في غير فريضة واجبة، وألا يعتقد نفسه على صواب دائما، فيلزم الآخرين بإتباع رأيه أو اجتهاد اجتهده سواء كان صوابا أم خطأ، طالما أنه ليس معلوما من الدين بالضرورة، ومن الآداب أيضا ألا يفتي الإنسان بغير علم ولا تخصص دقيق، أو يجعل من نفسه معيارا للصواب أو الخطأ.

المنظومة الإسلامية السياسية والاقتصادية والاجتماعية

المنظومة الإسلامية :

المنظومة الإسلامية السياسية والاقتصادية والاجتماعية منظومة كلها خير، ذلك أنها من عند الله تعالى الذي يعلم ما يصلح الإنسان والجماعة الإنسانية وما يفسرهما **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** (الملك ١٤) ، وهي تحتوي على مساحات محددة فيها تشريع واضح ومحدد ومساحات أخرى متروكة تلاحقها والبشرى في إطار المنهج الإسلامي ومن خلال النصوص ذاتها والتصورات الإسلامية ومن خلال التطبيق ثبت أنها أفضل منظومة عرفتها البشرية في كل تاريخها الاجتماعي، وهي صالحة إن شاء الله للتطبيق في كل زمان ومكان، وهي القادرة في عالمنا المعاصر على إنقاذ البشرية من التخبط والتيه والشقاء والمعاناة .

المنظومة الاجتماعية الإسلامية

وهذه المنظومة شديدة الاتساع، ولا يمكن الإحاطة بها، وكلها تؤدي إلى حرية الرأي وتجعله فريضة على الجميع، على الحكام ألا يعطلوها، وعلى الرعية أن تؤديها مع الحاكم ومع الأمراء ومع بعضهم البعض، وبديهي أن هذه المنظومة تشمل النظام الأخلاقي الذي يؤدي بالضرورة إلى رقي الفرد ومسئوليته ومن ثم قدرته على الإدلاء برأيه، وتشمل العدل ونظام القضاء، فبدون العدل ونظام قضائي مستقل يكون من الصعب ممارسة حرية الرأي وفي هذا الصدد فإن كتمان الشهادة إثم كبير **وإن كُنْتُم على سفَرٍ ولَم تَجِدوا كاتباً فَرِهانٌ مقْبوضةٌ فَإِن أَمِن بعضكُم بعضا فَلْيؤَدِّ الذي اؤْتُمِن أَمانَتَه ولْيتقِ اللهَ ربه ولا تَكْتُموا الشهادةَ ومن يكْتُمها فَإِنه آثِم قَلْبه واللهُ بِما تَعملُون عليم** (البقرة ٢٨٣)، والشهادة هنا تشمل كل الأنواع ، الشهادة على الشئون العامة وعلى الشئون الخاصة، في السياسية والاجتماع والقضاء وكل شيء وتحذير الرسول صلي الله عليه وسلم من شهادة الزور، هي دعوة لقول الحق، والشجاعة في إبداء ذلك الحق،وفي خطبة الصديق بعد توليته الخلافة ما يدل دلالة قاطعة على ضرورة حرية الرأي وعلى فرضيتها " إن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، فإن استقمت فاتبعوني، وإن زغت فقوموني" المنظومة الاجتماعية تشمل أيضا الدعوة إلى العلم، والمسئولية عن المستقبل وحماية الأقليات ....الخ ... وكلها تقود إلى فرد ومجتمع قادرين على أداء أمانة حرية التعبير.

العدل

العدل قيمة كبرى من قيم المشروع الإسلامي في مستواه العـام، أي فيمـا يخـص المسلمين وغير المسلمين، وعلينا أن نبشر بالعدل ونأمر به ونأخذ به أنفسنا ونأخذ به الآخرين ونجاهد من أجل فرض العدل وتحقيقه في كل مكان ونصرة المظلوم أياً كان وفي أي مكـان كان يجب أن نكون عادلين مع أنفسنا ومع الآخرين، عادلين في كل شـيء فـي الممارسـات السياسية والاقتصادية والاجتماعية على حد سواء، ويجب تـوخى العدالـة فـي المنازعـات القانونية المحلية والدولية، بين الأفراد وبين الجماعات وبين الأمم على حد سواء، يجب توخي العدالة وذلك بعدم ازدواج المعايير القانونية، فما يطبق على الشريف يطبق على الضعيف وما يطبق على الحاكم يطبق على المحكوم، وما يطبق على الأصدقاء والأحباء يطبق على الأعداء والمكروهين، وما يطبق على الغني يطبق على الفقير.

يقول الله تعالى **إن اللّه يأْمركُم أَن تُؤدواْ الأَمانَات إِلَى أَهلها وإِذَا حكَمتُم بين الناس أَن تَحكُمواْ بِالْعدل إِن اللّه نعما يعظُكُم بِه إِن اللّه كَان سـميعاً بـصيراً** (النـساء ٥٨، ٩٠) **وضرب اللّه مثَلاً رجلَينِ أَحدهما أَبكَم لاَ يقْدر علَى شَيء وهو كَلٌّ علَى مولاه أَينَما يوجهـه لاَ يأْت بِخَيرٍ هلْ يستَوِي هو ومن يأْمر بِالْعدلِ وهو علَى صراط مستَقيمٍ** (النحـل٧٦) **إِن اللّه يأْمر بِالْعدلِ والإِحسانِ وإِيتَاء ذي الْقُربى وينْهى عنِ الْفَحشَاء والْمنكَرِ والْبغْـيِ يعظُكُـم لَعلَّكُم تَذَكَّرون** (النحل٩٠) **وإِن طَائِفَتَانِ من الْمؤْمنين اقْتَتَلُوا فَأَصلحوا بينَهما فَـإِن بغَـتْ إِحداهما علَى الْأُخْرى فَقَاتلُوا التي تَبغي حتى تَفيء إِلَى أَمرِ الله فَإِن فَاءتْ فَأَصلحوا بينَهمـا بِالْعدلِ وأَقْسطُوا إِن الله يحب الْمقْسطين** (الحجرات ٩) والله تعالى يتوعـد الظـالمين ٤٢ **إِنَّما السبِيلُ علَى الذين يظْلمون الناس ويبغُون في الْأَرضِ بِغَيرِ الْحق أُولَئِك لَهـم عـذَاب أَليم** (الشورى٤٢) **وأَما الذين آمنُوا وعملُواْ الصالحات فَيوفيهِم أُجورهم واللّـه لاَ يحـب الظَّالمين** (آل عمران٥٧) **كَيفَ يهدي اللّه قَوماً كَفَرواْ بعد إِيمانهِم وشَـهِدواْ أَن الرسـولَ حقٌّ وجاءهم الْبينَاتُ واللّه لاَ يهدي الْقَوم الظَّالمين** (آل عمران٨٦).

- وفي الحديث القدسي "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما..." حديث صحيح.
- "إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة..." حديث صحيح.
- ومن الأقوال المأثورة "إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة".
- "الظلم يجلب النقم ويسلب النعم".
- "لا يكون العمران حيث يجور السلطان".

عدم ازدواج المعايير

ومن أهم مقومات العدل في الإسلام وجود معايير واحدة تنطبق على الجميع بـدون استثناء، على من نحب ومن نكره **يا أيها الذين آمنُوا كُونُوا قوامين لِلّه شُهداء بِالْقسط ولا يجرمنكُم شنَآن قوم على ألا تعدلُوا اعدلُوا هو أقْرب لِلتقْوى واتقُوا اللّه إن اللّه خبِيـر بِمـا تعملُون** (المائدة٨)، على الأقربين والأبعدين بل على أنفسنا **يا أيها الـذين آمنُـوا كُونُـوا قوامين بِالْقسط شُهداء لِلّه ولو على أنفُسكُم أو الْوالِدين والأقْربِين إن يكُن غنِيـا أو فقِيـراً فاللّه أولى بِهِما فلا تتبِعوا الْهوى أن تعدلُوا وإن تلْووا أو تُعرِضوا فإن اللّه كان بِما تعملُون خبِيراً** (النساء١٣٥).

على الشريف والضعيف "إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم إذا سرق الشريف تركـوه، وإذا سرق الضعيف قطعوه، وأيم الله لو أن فاطمة بنتي سرقت لقطعت يدها".

على القوي والضعيف فأبو بكر الصديق رضي الله عنه هو القائـل "القـوي مـنكم ضعيف حتى آخذ الحق منه والضعيف قوي حتى آخذ الحق له".

ويروي التاريخ الإسلامي أن أميراً من أمراء الغساسنة كان يطوف بالبيت في عهـد عمر بن الخطاب فوطئ إزاره شاب من فزاره فلطمه الغساني لطمة جـدعت أنفـه، فـذهب الشاب إلى الخليفة عمر بن الخطاب وشكا إليه، فقال عمر للغساني له القصاص أو يعفو عنك، قال كيف وأنا أمير وهو سوقه؟ فقال عمر لقد سوى الإسلام بينكما فلا تفاضل إلا بالتقوى فأخذ الأمير يسترضي الشاب الأعرابي، فلم يرض إلا أن يلطمه كما لطمه، وعلم الأمير أن الخليفة عمر سيمكن هذا الأعرابي من القصاص لا محالة ففر إلى الروم مرتداً عن الإسلام، فما اهتم عمر بذلك، فإنه خير للإسلام أن يخرج منه أمير على أن يمارس ازدواج المعايير.

وعندما ضرب ابن حاكم مصر أي ابن "عمرو بن العاص" عندما ضـرب القبطـي المصري، أمر عمر بن الخطاب خليفة المسلمين عندما وصل إليه الأمر- أن يضرب القبطي المصري ابن حاكم مصر بنفس الطريقة قصاصاً له وقال قولته المشهورة اضربه كما ضربك اضرب ابن الأكرمين".

والرسول ﷺ لم يستنكف أن يضع نفسه موضع القصاص وعـرض نفـسه للنـاس ليأخذوا حقوقهم منه حيث صعد المنبر قبيل وفاته قائلاً ما معناه "أيها الناس من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري.. ومن كنت أخذت منه مالاً فهذا.. ومن كنت شـتمت لـه عرضـاً فهـذا عرضي.."الحديث.

وعمر بن الخطاب يعطي الدرة للرجل ليضربه كما ضربه عندما اكتشف عمر بـن الخطاب أنه ضربه بغير حق، ولكن الرجل يمتنع فيقول له اعف عنى فيقـول الأعرابـي ولا أعفو حتى أن عمر بات ليلته مغتماً، فلما رآه الأعرابي في اليوم التالي وجد أثر الألم والهـم على وجهه، فقال الأعرابي لعمر بن الخطاب لعل هذا لما كان بالأمس، فقال عمـر الخليفـة العادل نعم فقال الأعرابي الآن عفوت عنك.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر قضاته بالتسوية بـين الخـصوم فـي المجلس والنظر والإشارة والإقبال وقال في كتابه إلى أبي موسى الأشعري "سو بين الخصمين في مجلسك وإشارتك وإقبالك، حتى لا ييأس ضعيف من عدلك، ولا يطمع قوي في ضعفك".

ويروى أن أبا موسى الأشعري ضرب بعض رعيته أسواطاً وعلم ذلك عمـر بـن الخطاب رضي الله عنه فأرسل عمر إلى أبي موسى الأشعري، يقول له لقد عزمت عليـك إن كنت ضربته في ملأ من الناس فليضربك بينهم، فلما حضر الرجـل، وضـع أبـو موسـى الأشعري نفسه في موضع الاستعداد لتلقي الضرب بالسوط، فعفا الرجل عنه.

ويروى أيضاً أن عمرو بن العاص قال لأحد الرجال يا منافق وكان ذلك في المسجد، فذهب الرجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال له "لقد نفقني الأمير- وكان عمرو بن العاص أميراً- وما نافقت منذ أن أسلمت، فأرسل عمر إلى "عمرو" وقال له إن كنت نفقته في ملأ، فليضربك كذا سوط، فذهب الرجل إلى المسجد وقال من منكم سمع الأمير ينفقني، قـالوا كلنا سمعه، فقرأ عليهم الكتاب فقال البعض "أو تضرب الأمير؟! وصاحوا فيه مستنكرين ذلك، فقال الرجل ليس لأمير المؤمنين هنا طاعة، فقدم عمرو بن العاص نفسه إلى الرجل ليضربه، فقال الرجل الآن عفوت.

ووصل أمر العدل وعدم ازدواج المعايير "أن المسلمين كانوا قد دخلوا بلـداً يـدعي صفد في إقليم سمرقند واشتكى أهل البلد إلى عمر بن عبد العزيز خليفة المـسلمين أن القائـد الإسلامي قتيبة بن مسلم قد دخل ديارهم من غير أن يتبع معهم سنة الإسلام في تخييرهم بـين الإسلام أو الجزية أو الحرب، بل قاتلهم قبل أن يعرض عليهم هذه الخيارات، وحول الخليفـة هذه الشكوى إلى القاضي، فدرس القاضي الموضوع وتبين صـدق الـشكوى، فـأمر الجنـد بالخروج من الديار التي دخلوها، ونفذ الجند الأمر، وتركوا مدينـة صـفد امتثـالاً للعدالـة الإسلامية التي لا تعرف ازدواج المعايير.

وهكذا تعكس نصوص الإسلام العدل وعدم ازدواج المعايير كأروع ما يكون، وتعكسها أيضاً ممارسات الإسلام وحضارة الإسلام، ولا شك أن التركيز على هذه القيمة يعطي دفعة قوية للمشروع الحضاري الإسلامي أمام البشر جميعاً وهم الذين يعانون الآن وقبل الآن من غياب العدل ومن ازدواج المعايير في ظل الحضارة الغربية.كما يحقق أروع معاني الحرية.

اللا عنصرية

عانت البشرية طويلاً، ومازالت تعاني حتى هذه اللحظة، من الممارسات العنـصرية للحضارة الغربية، ومنذ تفوق الحضارة الغربية وقهرها للعالم وسيطرتها عليه، وهي تمـارس أشكالاً متعددة من العنصرية من إبادة أجناس كاملة "الهنود الحمر" والتطهير العرقي للـشعوب كالبوسنة والهرسك، أو استرقاق السود وإقامة أنظمة الفصل العنصري - ، ومازال الوجـدان العنصري والممارسات العنصرية موجودة في أمريكا وأوروبا، لأن العنصرية جزء أصيل من القيم الحضارية الغربية.

ولا شك أن إبراز المساواة الإنسانية واللاعنصرية وهي من السمات الأساسية فـي الإسلام، لا شك أن إبراز هذه النقطة تشكل نقطة إضاءة كبيرة للمشروع الإسلامي في مستواه العام ويعكس الإسلام- وتعكس الحضارة الإسلامية على المستوى النظري والتطبيقـي أروع صور المساواة واللاعنصرية "فالناس سواسية كأسنان المشط" "وإن أكرمكم عنـد الله أتقـاكم" "ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى" "كلكم لآدم وآدم من تراب" "إن الله أذهـب عـنكم عصبية الجاهلية وتفاخرها بالآباء والأجداد، الناس لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي علـى عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى".

ولم تكن مصادفة أن التجربة الإسلامية الأولى قامت على أكتاف رجال كـان مـنهم الكثيرون من العبيد والموالي أمثال بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي وزيد بـن حارثة.. وغيرهم، وكان من هؤلاء العبيد والموالي الكثير من قادة الإسلام العظام فـي كـل مجال عسكري أو سياسي أو ثقافي، وكان منهم العلماء في العلوم الدينية والدنيوية علـى حـد سواء وأسهم هؤلاء إسهاماً كبيراً في بناء وازدهار الحضارة الإسلامية، التـي شـارك فيهـا الأسود والأبيض والأحمر والأصفر، التركي والفارسي والعربي على حد سواء.

ولعل إحدى السمات التي عاشت حتى الآن مع المسلمين ولم تتعرض للضعف فـي وجدانهم وسلوكهم برغم حالة الانحطـاط التـي يعيـشونها هـي روح المـساواة الإنـسانية واللاعنصرية، حيث إن المسلمين حتى الآن لا يعطون لاختلاف اللون أو الجنس أي اهتمـام ويمارسون اللاعنصرية كسلوك عادي،.

العناية بالضعيف

العناية بالضعيف محور مهم من محاور المشروع الإسلامي ولعل الإسلام دون المذاهب والفلسفات الاجتماعية والسياسية جعل للضعفاء حقوقاً نظرية وعملية، وجعل هذه الحقوق واجبة وجزءاً من العقيدة والإيمان[χ]، فالعطف على الصغير والكبير والآباء واجب شرعي[χ]، ورعاية الأبناء الصغار وتربيتهم وتلبية حاجاتهم البدنية والنفسية وتهذيبهم وتعليمهم واجب شرعي على الآباء فإن غاب الآباء فعلى الأقارب وإلا أثموا ويمكن للتقاضي الشرعي أن يلزمهم بذلك

النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً كان ذلك في الكتاب مسطوراً (الأحزاب٦) وكذلك فللفقراء والمساكين والعاجزين عن العمل حق معلوم لدى الدولة الإسلامية " **وفي أموالهم حق للسائل والمحروم** (الذاريات١٩) والأيتام كذلك يحرص الإسلام على رعايتهم أيما رعاية و{فأما اليتيم فلا تقهر }الضحى٩قال ﷺ: "**أنا وكافل اليتم كهاتين في الجنة وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى**". صحيح تخريج السيوطي حققه الألباني - والضعفاء عموماً من أيتام ومساكين وفقراء وصغار وكبار سن وغرباء ومرضى وعاجزين ومعوقين لهم حقوق- نكرر حقوقاً- معلومة في أبواب الفقه الإسلامي **أرأيتَ الذي يكذب بالدين ۞ فذلك الذي يدع اليتيم ۞ ولا يحض على طعام المسكين** (الماعون ١:٣) وللرحمة بعد الحقوق باب كبير من أبواب الإسلام، والله تعالى وصف نفسه بالرحمة، وجعلها من أفضل الأخلاق والممارسات التي يتقرب بها العبد إلى ربه.

والعناية بالضعفاء يكملها العناية بكل الكائنات غير البشرية والمسلم رحيم بكل مخلوقات الله تعالى "فإذا ذبحنا علينا أن نحسن الذبح" وتعذيب الحيوانات والطيور محرم شرعاً "وامرأة دخلت النار في قطة حبستها" والرحمة بالحيوان طريق إلى الجنة "ورجل دخل الجنة في كلب عطشان سقاه" وإن في كل كبد رطبة لأجر والإنسان مسئول أمام الله عن إطعام

[χ] من الناحية النظرية مثلاً فإن الماركسية لا تعترف بتلبية حاجات غير القادرين على العمل "لكل حسب طاقته".

[χ] وكذلك البر بالأباء "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما، وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهم جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا" الإسراء ٢٣-٢٤.

الحيوانات والمواشي التي يستخدمها ويقتنيها، ومسئول أيضاً عـن عـدم إرهاقهـا بالعمـل- ومسئول حتى عن نظافتها، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يخاف أن يحاسبه الله تعالى عن دابة تتعثر في الطريق لأنه لم يسو لها الطريق وهذه الحقوق التي يتمتع بهـا الـضعفاء فـي المجتمع الإسلامي لا تنصفهم فقط بل تفتح أمامهم الطريق إلي حرية التعبير

النقد والنقد الذاتي

النقد والنقد الذاتي أحد مكونات المشروع الإسلامي، والنقد والنقد الذاتي يبدأ هنا بالاعتراف بالحالة التي وصلت إليها أمتنا، والبحث عن أسباب هذه الحالة، وطرق التخلص منها وتجاوزها وبناء نهضتنا وسيادتنا الحضارية من جديد.

والاعتراف بما وصلنا إليه يقتضي بالطبع الاعتراف بأننا الآن في حالة هزيمة حضارية، أمام الحضارة الغربية بالتحديد، وأن بلادنا مغتصبة ومخترقة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وثقافياً، وخاضعة بصورة أو بأخرى للهيمنة الغربية، وأننا وصلنا إلى هذه الحالة من التفكك والانحطاط والخضوع نتيجة عوامل كثيرة ترجع إلى التآمر العالمي على أمة الإسلام وترجع أيضاً إلى تخلينا عن قيم إسلامية كثيرة وضرورية، وإلى سلبيتنا وقصر نظرنا، وترجع إلى الحكام والمحكومين على السواء، وبكلمة أخرى فإن لها أسبابها الخارجية والداخلية معاً، والنقد والنقد الذاتي كفيل بتحديد هذه الأسباب وكفيل أيضاً بوضع الحلول الصحيحة لمواجهة التحديات والسلبيات الخارجية والداخلية على حد سواء.

وللنقد والنقد الذاتي في قيمنا ومبادئنا وتراثنا الحضاري مساحة كبيرة، وأهمية خاصة، وهي من الفرائض الإسلامية والممارسات اليومية على مستوى الفرد المسلم والجماعة المسلمة والأمة المسلمة على حد سواء.

التوبة الفردية التي يمارسها المسلم في كل يوم عشرات المرات هي نوع من النقد الذاتي، والتوبة الجماعية التي يمارسها المسلمون في صلاة الجماعة أو في الحج أو غيرها من المناسك هي أيضاً نوع من النقد الذاتي، والتوبة هنا ليست مجرد توبة عن الخطايا أو الذنوب الأخلاقية فقط، بل هي أيضاً التوبة من الأخطاء الاجتماعية والسياسية، والآيات القرآنية التي نزلت بعد غزوة أحد مثلاً تؤكد ضرورة التوبة أو النقد، ألم تكن تلك الآيات تنتقد مواقف وسلوك المسلمين. وتحلل أسباب الهزيمة؟ وهي درس لنا لنتعلم النقد وتحليل الأخطاء الجماعية، والمرأة المسلمة التي خطأت عمر بن الخطاب خليفة المسلمين وهو فوق المنبر كانت تمارس النقد، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما استمع إلى هذا النقد واعترف بخطئه جهاراً وعلناً وأمام حشد من المسلمين كان يمارس النقد الذاتي ويقبل النقد في نفس الوقت ويرسي معالم النقد والنقد الذاتي وهو القائل "أصابت امرأة وأخطأ عمر".

والمسلم مرآة أخيه- أليست هذه دعوة من الرسول ﷺ إلى النقد بل إلى وجوب النقد؟ "ورحم الله امرأ أهدى إلى عيوبي" تأتي أيضاً في هذا السياق؟

والآيات القرآنية الداعية إلى التوبة الفردية والجماعية كثيرة جداً، بل إن الله يخص بحبه التوابين **ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** (البقرة - ٢٢٢) - **ووهبنا لداوود سليمان نعم العبد إنه أواب** (ص ٣٠).

أي أن النقد الذاتي صفة من صفات الأنبياء، والله تعالى يجعل هذه الصفة من الصفات التي يستحق بها العبد أن يمدحه ربه قائلاً "نعم العبد إنه أواب".

وهكذا فالنقد والنقد الذاتي فريضة وواجب على مستوى الفرد والجماعة والأمة، سراً وعلناً.

العلم

لاشك أن تحصيل العلم يوسع مدارك الإنسان ومن ثم يزيد قدرته علي ممارسة حرية التعبير ويشكل العلم- بصورته الشاملة- عنصراً هاماً من عناصر المشروع الإسلامي، وتأتي العلوم التجريبية والتقنية على رأس أولويات النهضة الإسلامية المرجوة ذلك أن أحد أسباب هزيمتنا وانحطاطنا الحضاري يرجع إلى إهمال الأخذ بأسباب العلم عموماً والعلوم التجريبية خصوصاً، والتفوق الأوروبي الهائل علينا هو في جوهرة تفوق علم وتكنولوجيا، وصحيح أن العلم في المشروع الإسلامي يستخدم لصالح الإنسان ولتحقيق أكبر قدر من السعادة لكل البشر، ولا يكون على حساب البيئة أو الكائنات الأخرى أو موجهاً لتحقيق أكبر قدر من المنفعة اللاأخلاقية على حساب الإنسان، أو لحساب مجموعة من البشر على حساب باقي البشر بعكس الحضارة الغربية التي تسببت في شقاء البشرية منذ صعودها

ولا تناقض هناك بين الإسلام والعلم، بل إن الإسلام يحض على العلم، وقد شهدت العلوم جميعاً وخاصة التجريبية منها ازدهاراً واسعاً في ظل الحضارة الإسلامية أيام ازدهارها، وكانت هذه العلوم هي الأساس التي قامت عليه النهضة العلمية في أوروبا.

ولا شك أن نشر العلم والحصول على أحدث الحقائق العلمية والوسائل التقنية واجب شرعي، أياً كان مصدر ومكان هذا العلم ".. ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة.."(رواه مسلم)، "الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها"، وفي هذا الصدد فإننا ندرك أن الحضارة الأوروبية لن تقدم لنا العلم بسهولة لأنها تريد باستمرار أن نظل متخلفين وخاضعين، علينا أن ننتزع هذه العلوم انتزاعاً، لاحظ أن أمريكا حاكمت المهندس المصري عبد القادر حلمي بتهمة سرقة التقنية الأمريكية!

وعلى كل مسلم أن يفعل ما يستطيع للحصول على العلم، ويعمل على تعليم الآخرين، لأن من يحجب العلم آثم شرعاً وبالتالي فإن التعليم هنا يصبح واجباً شرعياً وغاية لترقية الأمة والإنسانية وليس مجرد الحصول على خبرات علمية تحقق لصاحبها الكسب الشخصي والرقي الفردي أو الحصول على مركز اجتماعي أو مكاسب مادية. وتعليم الآخرين واجب شرعي كذلك، وعلينا أن نستفيد بخبرات العديد من العلماء البارزين في مختلف الأقطار الإسلامية، وكذلك ذلك الجيش الجرار من العلماء المسلمين المغتربين في أوروبا وأمريكا وغيرهما ووضع خطة طموحة للاستفادة من خبرات هؤلاء العلماء.

ويجب أيضاً أن يكون محو الأمية أولوية لدى المسلمين لأنه من العار علينا ونحـن أمة "اقرأ" أن يكون بيننا من لا يعرف القراءة والكتابة، ورسولنا الكريم يقـول "إنمـا بعثـت معلما".

ورسول الإسلام يقرر أن ساعة من دروس العلم خير من سبعين ساعة عبادة، ومداد العلماء يوزن يوم القيامة بدماء الشهداء، أي أن العلم والتعليم هو وحدة الذي يعادل مقام الجهاد والاستشهاد وهو مقام رفيع كما نعرف، ولعلنا نلتفت إلى المعنى المتضمن في كون أول آيـة نزلت من القرآن الكريم هي "اقرأ" وهي دعوة مباشرة لتقديم العلم والتعليم على ما عداه.

والآيات التي تحض على العلم في القرآن الكريم تزيد على ٧٥٠ آية في حين أن تلك المتعلقة بالفقه حوالي ١٥٠ فقط، وكذلك هناك الآيات التي تحض علـى الـسير فـي الأرض والنظر في علومها المختلفة كالأحياء والجيولوجيا والجغرافيا وغيرها. "قل سيروا في الأرض فانظروا.

إنصاف المحرومين

في عالم يستأثر فيه ٢٠% من السكان بكل أو معظم الثروات على حساب ٨٠%، في عالم يجوع فيه الناس بل يموتون جوعاً "يموت في إفريقيا وحدها ٥٠ مليون من الجوع سنوياً منهم ١٥ مليون طفل"، في عالم فيه اختلال مروع في توزيع الثروة سواء على مستوى القارات، حيث تستأثر قارات على حساب قارات أخرى، أو على مستوى الدول.

حيث تستأثر بالثروات دول على حساب دول أخرى، أو حتى داخل الدولة الواحدة حيث تستأثر طبقة على حساب طبقة، فإن إبراز اهتمام المشروع الحضاري الإسلامي بإنصاف المحرومين اقتصادياً والدعوة إلى عدالة توزيع الثروة أمر له أهميته في إقناع العالم بالمشروع الحضاري الإسلامي، وهو أيضاً فرض شرعي علينا تجاه الأمم والشعوب والأفراد المحرومين.

ونحن مطالبون بالدعوة إلى إعادة توزيع الثروة في العالم على مستوى العلاقات الدولية وقوانين التجارة وأسعار الخامات ونقل الخبرات العلمية والاهتمام بالتدريب والتعليم لتحقيق أكبر قدر ممكن من الثروة والنهضة للدول المختلفة والقارات المختلفة.

ومطالبون أيضاً داخل كل دولة على حدة بالانحياز للفقراء والمحرومين، والعمل على استعادة حقوقهم الاقتصادية والقضاء على التفاوت الطبقي ومنع استئثار طبقة بالخيرات على حساب طبقة أو طبقات أخرى وننطلق في هذا الأمر من إدراكنا بأن الثروات المتاحة في العالم تكفي جميع سكان العالم آلاف المرات وليس في هذا مبالغة. وأن الحرمان والفقر الموجود في هذا المكان أو ذاك يرجع إلى سوء توزيع الثروة أو عدم استغلالها أصلاً **وإن تَعدواْ نعمةَ اللّه لا تُحصوها إن اللّه لغَفُور رحيم** (النحل١٨) وبالتالي فإنه من غير المعقول ولا من الطبيعي أن يستمر الجوع والفقر في العالم برغم كل هذه الثروات وعلينا أن نجاهد لرفع الظلم عن المحرومين أفراداً وشعوباً واستعادة حقوق هؤلاء المحرومين.

ولا شك أن الدعوة إلى إشباع حاجات الناس جميعاً أصل إسلامي واضح ما أَفَاء الله علَى رسولِه من أَهلِ الْقُرى فَلله ولِلرسول ولِذي الْقُربى والْيتَامى والْمساكينِ وابنِ السبِيلِ كَي لَا يكُون دولَةً بين الْأَغْنياء منكُم وما آتَاكُم الرسولُ فَخُذُوه وما نَهاكُم عنْه فَانتَهوا واتقُوا الله إِن الله شَديد الْعقَابِ (الحشر٧) وفي **الحديث** ليس المؤمن بالذي يشبع و جاره جائع إلى جنبه.

- **التخريج** صحيح.
- **المرجع** صحيح الجامع الصغير.

- **تخريج السيوطي** (خد طب ك هق) عن ابن عباس.
- **تحقيق الألباني** (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٣٨٢ في صحيح الجامع.

والجار هنا قد يكون فرداً أو أسرة أو مدينة أو دولة أو قارة.. وهكـذا" "إذا جـاع الناس فلا مال لأحد" ـ "من كان عنده فضل ظهر فليجد به على من لا ظهر له.." وعدد جميع أنواع النعم. حديث شريف.

يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر مـن نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين اللـه لكـم الآيـات لعلكـم تتفكـرون (البقرة ٢١٩) أي على الإنسان أن ينفق على المحرومين كل ما زاد عـن حاجتـه. "لأخـذت أموال الأغنياء فرددتها على الفقراء" قول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

"ما حرم فقير إلا بما متع به غني" قول لعلي بن أبي طالـب كـرم الله وجهـه، أي الحرمان يأتي من الظلم وسوء توزيع الثروة.

حماية الأقليات

من العناصر المهمة في المشروع الإسلامي في مستواه العام مسألة حماية الأقليات، وفضلاً عن أنها فريضة شرعية، فإنها أيضاً تعكس القيم العظيمة لحضارة الإسلام بحيث تصبح هذه المسألة نقطة جذب حضاري لدخول العالم في المشروع الحضاري الإسلامي ولاشك أن الكثير من الأقليات الدينية والعرقية والقومية في العالم تعاني من الاضطهاد منذ أن سادت وهيمنت الحضارة الغربية على مقدرات العالم.

والأصول النظرية، والممارسات العملية في حضارة الإسلام تمثل أروع وأعظم ما عرفته البشرية في هذا الإطار فبداية فإن الإسلام يخدم خصوصية الأقليات ويحرص على تأكيدها **لا إِكْرَاه فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** (البقرة ٢٥٦) ويدعو إلى احترام الجماعات البشرية بعضها بعضاً **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** (الحجرات١٣) ويجعل المعيار القانوني واحداً بالنسبة للأقلية والأغلبية فلا ازدواج معايير هناك **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** (المائدة٢) **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** (المائدة٨) **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً** (النساء١٣٥).

لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (الممتحنة٨) ويقول الرسول ﷺ "عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به".

ويقول "من ظلم معاهداً أو ذمياً أو كلفه قومه فوق طاقته فأنا حجيجه يوم القيامة".

وفي هذا الصدد ننقل عن المفكر الإسلامي إسماعيل الفار وفي قوله "لقد بلغ المجتمع الإسلامي حدوداً تفوق التصور في توفير حرية الاعتقاد للآخرين، وقد حدد المسلمون تلك الميزه- حرية الاعتقاد- التي منحها الله لليهود والمسيحيين والصابئين في القرآن الكريم- حتى

شملت الزرادشتيين والهندوس والبوذيين والمجـوس والمـوالين للـديانات الأخـرى عنـدما اتصلوا بها".

ويقول الكاتب الإسلامي فهمي هويدي "لم يقتصر الأمر على مجرد حماية الأقليـات وتحقيق حرية الاعتقاد للآخرين، بل تعدي إلى قيام المسلمين بحفظ التراث الحضاري للديانات الاخرى".

ويروي شكيب أرسلان في مقال له بعنوان التعصب الأوروبي أم التعصب الإسلامي "أن أحد الوزراء العثمانيين كان مرة في أحد المجالس في جدال مع بعـض رجـال الدولـة الأوروبيين فيما يتعلق بهذا الموضوع، فقال لهم الوزير العثماني: إننا نحن المسلمين من ترك وعرب وغيرهم مهما بلغ بنا التعصب في الدين فلا يصل بنا إلى درجة استئصال شأفة أعدائنا ولو كنا قادرين على استئصالهم- ولقد مرت بنا قرون وأدوار كنا قادرين فيها على ألا نبقـي بين أظهرنا إلا من أقر بالشهادتين وأن نجعل بلادنا كلها صافية للإسـلام فمـا هجـس فـي ضمائرنا خاطر كهذا الخاطر أصلاً.

وكان إذا خطر هذا ببال أحد ملوكنا كما وقع للسلطان سليم الأول العثماني تقوم فـي وجهه الملة ويواجهة أمثال زنبيلي أفندي على شيخ الإسلام ويقول له بلا محاباة ليس لك على النصارى واليهود إلا الجزية وليس لك أن تزيحهم عن أوطانهم فيرجع السلطان عـن عزمـه امتثالاً لشرع الله الحنيف، فيبقى بين أظهرنا حتى أبعد القرى وأصـغرها نـصارى ويهـود وصابئة وسامرة ومجوس وكلهم كانوا- وآخرون- لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، أما أنتم معاشر الأوروبيين فلم تطيقوا أن يبقى بين أظهركم مسلم واحد، واشترطتم على مـن أراد البقاء بينكم أن يتنصر، ولقد كان في أسبانيا ملايين وملايين من المسلمين، وكـان فـي جنوب فرنسا وشمالي إيطاليا وجنوبها مئات الألوف منهم، ولبثوا في هذه الأراضي أعـصراً مديدة، وما زلتم تستأصلون منهم حتى لم يبق في هذه البلدان شخص واحد يدين بالإسلام، ولقد طفت بلاد أسبانيا كلها فلم أعثر فيها على قبر واحد يعرف أنه قبر مسلم".

وفي إطار الحضارة الإسلامية، عاشت الأقليات ومارست عقيـدتها وحريتهـا، بـل شاركت في الممارسات الحضارية الإسلامية، وقد بلغ التسامح الإسلامي الديني فـي تجربـة الحضارة الإسلامية في الأندلس مبلغاً عظيماً، ولدت أسماء مـسيحية ويهوديـة فـي إطـار الحضارة الإسلامية ولعل ابن ميمون الأندلسي خير شاهد على ذلك فبرغم كونه يهودياً يعيش في مجتمع مسلم، إلا أن ذلك لم يعقه من أن يصبح مفكراً أو فيلسوفاً بارزاً.

وفي الحقيقة فإنه إذا كانت الأقليات قد مارست حريتها في ظل الحضارة الإسلامية، وإذا كانت هذه الأقليات في الشرق بالذات وفي حالة أقباط مصر على وجه الخـصوص قـد اندمجوا في الحضارة الإسلامية وساهموا في صنعها وازدهارها، وأصبحوا بالتالي جزءاً منها بحيث إنهم أصبحوا ينتمون إلى الإسلام كثقافة وكحضارة وكوطن وإن اختلفـوا فـي الـدين والعقيدة، فإن هذا يعني أن المشروع الحضاري الإسلامي يضم المـسلمين ويـضم مـسيحي الشرق عموماً وأقباط مصر خصوصاً، وأن هؤلاء كالمسلمين سواء بسواء سوف يحملون قيم المشروع الحضاري الإسلامي إلى العالم أجمع. وهكذا فإن هناك مساحة واسع ة لحرية التعبير للفرد والجماعة للمسلم وغير المسلم.

استقلال القضاء

لا يكون عدل، ولا تكون حرية، ألا بقضاء مستقل نزيه، ولعل كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري تمثل وثيقة هامة في هذا الصدد،[٣] فمنذ ما ولي عبد الله بن قيس "أبو موسى الأشعري القضاء في خلافة عمر بن الخطاب كتب إليه عمر كتابا بعدد من المحددات لتحقيق عدالة القضاء ونزاهته وقد جاء فيه

- أن التشريعات العادلة وحدها لا تكفي، بلا لابد من قاض يحكم بها ولابد من أن يضعها موضع التنفيذ "أنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له
- أن الحق لا يبطله شيء، فإذا أجتهد القاضي وأخطأ، فإن عليه التراجع عن ذلك، مهما تقادم الزمن، وهذا التوجيه يفتح الباب لا مكانية استئناف حكم القاضي أمامه هو نفسه أو أمام غيره "لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك، وهديت لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق لا يبطله شيء، وأعلم أن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل.
- أن الصلح متاح بشرط ألا يكون على حساب الحق، فالحق هو المعيار عند الصلح وعند النزاع على حد السواء "والصلح جائز بين الناس إلا ما أحل حراما أو حرم حلالا.
- أنه يجب المساواة بين المتخاصمين في مجلس القضاء، مهما كان الفرق بينهما في المنزلة العلمية أو الدينية أو السياسية أو المالية، وكذا يجب علي القاضي أن يعاملهما بحياد تام "آسي بين الناس في مجلسك ووجهك".
- أن جميع المسلمين سواسية في الشهادة بصرف النظر عن مراكزهم الاجتماعية إلا في بعض الأمور التي تقدح في شهادتهم مثل شهادة أحدهم بالزور من قبل، أو كان قريبا لأحد الخصوم أو معروف بالولاء له "والمسلمون عدول في الشهادة، إلا مجلودا في حد، أو مجربا علية شهادة زور، أو ظنينا في ولاء أو قرابة".
- استخدام الفهم والعقل فيما لم يرد فيه قرآن أو سنه "الفهم – الفهم" فيما ليس فيه قرآن أو سنة.
- استخدام القياس كوسيلة من وسائل الفهم في القضاء "وأعرف الأشباه والأمثال" ثم قس الأمور بعد ذلك.
- أن القضاء فريضة محكمة وسنة وثيقة.

---

(3) النويري. نهاية الإرب في فنون الأدب – طبعة القاهرة – جزء ١٩

فهرس

والقضاء في الإسلام مستقل، لا يتدخل فيه السلطان، بل هو نفسه يخضع لهذا القضاء ويكون على قدم المساواة مع الخصم أمام القاضي فقد سأل عمر بن الخطاب رجلا له قـضية "ماذا صنعت فقال الرجل قضي على بكذا، قال عمر لو كنت أنا لقضيت بكذا قـال صـاحب القضية فما يمنعك والأمر إليك، فقال عمر لو كنت أردك إلى كتاب الله أو إلى سـنة نبيـه ﷺ لفعلته، ولكني أردك إلى رأيي، والرأي مشترك (٤).

وأخذ النظام الإسلامي بمبدأ فصل السلطات، فجعل للقاضي وظيفة غير وظيفة التنفيذ ما لم ينص على ولاية خاصة في أمر ولايته قال أحمد بن إدريس القرافي فـي الـذخيرة (5) "ولاية القضاء متبادلة لحكم لا يتدرج فيها غيره، وليس للقاضي السياسية العامة لا سيما الحاكم الذي لا قدرة له على التنفيذ، وأما قوة التنفيذ فأمر زائد على كونه حاكما، فقد يفوضـه إليـه التنفيذ وقد لا يندرج في ولايته، وليس للقاضي قسمة الغنائم وتفريق أموال بيت المـال علـى المصالح وإقامة الحدود وترتيب الجيوش وقتال البغاة.

وكان الخلفاء يقترون على أنفسهم ويوسعون في أرزاق القضاء، فكان رزق سـليمان بن ربيعة الباهلي في عهد عمر خمسمائة درهم مشاهرة وكذلك كان رزق شريح في عهد على ، وجرت سنة الخلفاء بعدهم على التوسعة في أرزاق القضاة وترجيهم على الولاة.

ومن الآداب المطلوبة للقاضي "ألا يشتري بنفسه ولا بوكيل معلوم حتى لا يسامح في البيع" وكان الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز يقول "تجارة الولاة مفسدة وللرعيـة مهلكـة، ففكان يغني القضاة بسعة الرزق عن التكسب والاتجار"(٦)

(4) ابن الأثير "أسد الغابة في معرفة الصحابة – طبعة دار الشعب القاهرة

(5) نقلا عن عباس محمود العقاد – الديمقراطية في الإسلام – نهضة مصر القاهرة – ط ٢٠٠٥

(6) نقلا عن عباس محمود العقاد – نفس المرجع السابق

وثائق

١ - خطبة أبي بكر الصديق بعد توليته الخلافة:

أما بعد، أيها الناس، فإني قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحـسنت فـأعينوني، وإن أسأت فقوموني. الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتـى أريـح عليه حقه إن شاء الله، والقوي منكم ضعيف عندي، حتى آخذ الحق منه أن شاء الله. لا يـدع قوم الجهاد في سبيل الله فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعـة لـي عليكم....

أيها الناس، إنما أنا مثلكم، وأني لا أدري لعلكم ستكلفونني ما كان رسول الله صـل الله علية وسلم، يطيق إن الله اصطفي محمد على العالمين، وعصمه من الآفات. فإنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن استقمت فأتبعوني، وإن زغت فقوموني. وأن رسول الله ﷺ قبض، ولـيس أحد من هذه الأمة يطلبه بمطلب، ضربه سوط فما دونها، ألا وإنما لي شيطان يعتريني، فـإذا أتاني فاجتنبوني، لا أؤثر في إشعاركم وإبشاركم وإنكم تغدون وتروحون في أجل قـد غيـب عنكم علمه، فإن استطعتم ألا يمضي هذا الأجل إلا وأنتم في عمـل صـالح فـافعلوا، ولـن تستطيعوا ذلك إلا بالله. فسابقوا في مهل آجالكم من قبل أن تـسلمكم آجـالكم إلـى انقطـاع الأعمال، فإن قومًا نسوا آجالهم، وجعلوا أعمالهم لغيرهم، فأنها كم أن تكونوا أمثـالهم؛ الجـد الجد، والوحي الوحي ، والنجاة النجاة، وإن وراءكم طالبا حثيثًا، أجلا مره سـريع.واحـذروا الموت، واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان، ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبط به الأموات.

إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه، فأريدوا الله بأعمالكم، واعلمـوا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم ، فطاعة أتيتموها، وحظ ظفرتم به، وضرائب أديتموهـا، وسـلف قدمتموه من أيام فانية لأخرى باقية، لحين فقركم وحاجتكم، واعتبروا يا عباد الله بمـن مـات منكم، وفكروا فيمن كان قبلكم أين كانوا أمس؟ وأين هم اليوم؟! أين الجبارون الذين كان لهـم ذكر القتال والغلبة ومواطن الحروب؟ قد تضعضع بهم الدهر وصاروا رميما، قد تركت عليهم القالات، الخبيثات للخبيثين، والخبيثون للخبيثات.وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها، قد بعدوا، ونسى ذكرهم، وصاروا كلا شيء. ألا إن الله قد أبقى عليهم التبعات، وقطع عـنهم الشهوات، ومضوا والأعمال أعمالهم، والدنيا دنيا غيرهم، وبقينا خلفًا بعدهم، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا. أين الوضاء الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم؟ صاروا ترابا، وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم.

أين الذين بنوا المدائن، وحصنوها بالحوائط، وجعلوا فيها الأعاجيب؟ قد تركوها لمن خلفهم، فتلك مساكنهم خاوية وهم في ظلمات القبور، هل تحس منهم من أحد، أو تسمع لهم ركزا ؟!.. أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم؟ قد انتهت بهم آجالهم، فوردوا على ما قدموا، فحلوا عليه، وأقاموا للشقوة أو السعادة فيما بعد الموت، ألا إن الله لا شريك له، ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيرًا، ولا يصرف به عنه شرًا إلا بطاعته واتباع أمره. واعلموا أنكم عبيد مذنبون، وأن ما عنده لا يدرك إلا بطاعته.

ألا وإنه لا خير بخير بعده النار، ولا شر بشر بعده الجنة. والله، سبحانه وتعالى أعلم.

٢-خطاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى ألا شعري

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عمر، أمير المؤمنين، إلى عبد الله بن قيس. سلام عليك. أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له.

آس بين الناس في مجلسك ووجهك، حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا ييئس ضعيف من عدلك. البينة على من ادعي، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين الناس، إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا. ولا يمنعك قضاء قضيتة بالأمس فراجعت فيه نفسك وهديت لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق لا يبطله شيء. وأعلم أن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل. الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما ليس فيه قرآن ولا سنة. واعرف الأشباه والأمثال، ثم قس الأمور بعد ذلك، ثم اعمد لأحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيما تري.

اجعل لمن ادعي حقا غائبا أمدا ينتهي إلية، فإن أحضر بينة أخذ بحقه، وإلا استحللت عليه القضاء. والمسلمون عدول في الشهادة، إلا مجلود في حد، أو مجربا عليه شهادة زور، أو ظنينا في ولاء أو قرابة. إن الله تولي منكم السرائر، ودرأ عنكم بالبينات. وإياك والقلق والضجر والتأذي بالخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر ويحسن الذخر، فإنه من صلحت سريرته فيما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين للدنيا بغير ما يعلم الله منه شنأه الله. والسلام.

النظام الاقتصادي في الإسلام

لا تتحقق حرية تعبير ما لم يكن الناس في مأمن من الفقر والحاجة، وألا تكون هناك بطالة وتعطل، وإذا كان البعض يري أن الحرية مستحيلة مع بقاء تحكم الأغنياء في الفقـراء فإن هذا صحيح، ولكن من الصحة أيضا أن نختار الطريق الأفضل لتحقيق الحد الأدنـى مـن الرزق والعمل لكل الناس دون أن تسوي بين النـشطاء والكـسالى. وهـذا يحققـه النظـام الاقتصادي في الإسلام، بل أن هذا النظام أيضا يرتب حقوقا للعاجزين وغير القـادرين علـى العمل، على عكس الاشتراكية العلمانية مثلا التي ليس فيها من الناحيـة النظريـة وناحيـة المذهب الاقتصادي أي حقوق للعاجزين "فكل حسب عمله" بل ويحدث أن تظهر حركات مثـل النازية تطلب إعدام غير القادرين على العمل والمسنين لأنهم عاله علـى المجتمـع، ولكـن الإسلام يكرم هؤلاء أيما تكريم، ويجعل إعطائهم حقهم في الحياة والرزق واجباً لا يتم الإيمان ألا به.

ومن القواعد العامة في الإسلام، أن المال مال الله والناس مستخلفون فيه، وألا تكون الأموال دولة بين الأغنياء **ما أَفَاء اللَّهُ على رسوله من أَهل الْقُرى فَلله وللرسـول ولذي الْقُربى والْيتَامى والْمساكين وابنِ السبِيل كي لاَ يكُون دولَةً بين الأَغْنيـاء منكُم وما آتَاكُم الرسولُ فَخُذُوه وما نَهاكُم عنه فَانتَهوا واتقُوا اللَّه إِن اللَّه شَـديد الْعقَابِ** (الحشر٧)، ويحرم الإسلام كنز المال وعدم إنفاقـه علـى الفقـراء والمحتـاجين **يا أَيها الذين آمنُوا إِن كَثيرا من الأَحبارِ والرهبانِ لَيأْكُلُون أَموالَ الناسِ بِالْباطلِ ويصدون عن سبِيلِ اللَّهِ والذين يكْنزون الذهب والْفضةَ ولاَ ينفقُونَها في سبِيلِ اللَّهِ فَبشرهم بِعذَابٍ أَليمٍ** (التوبة ٣٤)، ويكره طغيان الغني **كَلا إِن الإِنسان لَيطْغَى ۞ أَن رآه استَغْنَى** [العلق ٦٠٠-٧٠٠]، ويحرم الإسلام الربا أي الكسب بدون عمل أو مخـاطر **الذين يأْكُلُون الربا لاَ يقُومون إِلاَّ كَما يقُوم الذي يتَخَبطُه الشيطَان من الْمس ذَلك بِأَنهم قَالُوا إِنما الْبيع مثْلُ الربا وأَحلَّ اللَّهُ الْبيع وحرم الربا فَمن جاءه موعظَةٌ من ربه فَانتَهى فَلَه ما سلَفَ وأَمره إِلَى اللَّهِ ومن عاد فَأُولَئك أَصحاب النارِ هم فيهـا خَالدون** (البقرة ٢٧٥)، ويدعو إلى العمل، وتوفير العمل لكل قادر "أن أفضل الكسب، كسب الرجل من يده، وإن الله يحب العبد المحترف ويكره العبد البطال وكـذا حـرم الله الرشـوة"

يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما (النساء ٢٩).

نتحدث عن النظام الاقتصادي في الإسلام بالشكل الذي يظهر:

١. رفض الإسلام لكافة أشكال الاستغلال الاقتصادي،.

٢. أننا لسنا مجتهدين بالقدر الذي يسمح لنا باستنباط المذهب الاقتصادي من النصوص أو الواقع الإسلامي مباشرة؛ وبالتالي فلم يكن أمامنا إلا أن نأخذ باجتهاد من بحثوا في هذا الشأن الأستاذ المودودي في مؤلفاته المختلفة وكذلك مقالاته المترجمة إلى العربية تحت عنوان " مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة ".

- والأستاذ سيد قطب (العدالة الاجتماعية في الإسلام)، (معركة الإسلام مع الرأسمالية).
- الأستاذ محمد الغزالي (الإسلام والمناهج الاشتراكية)، (الإسلام وأوضاعنا الاقتصادية)، (الإسلام والاستبداد السياسي).
- الدكتور مصطفى كمال وصفي (مقالات في مجلة المسلم المعاصر، ومجلة الدعوة).
- الدكتور مصطفى السباعي (في كتابه اشتراكية الإسلام).
- الدكتور محمود أبو السعود (كتابه خطوط رئيسية في الاقتصاد الإسلامي، ومقالات في مجلة المسلم المعاصر).

وفي محاولتنا لدراسة الاقتصاد الإسلامي يجب أن نلاحظ ما يأتي:

أولاً: إن الاقتصاد الإسلامي جزء من كل: بمعنى ارتباط الاقتصاد الإسلامي بمفاهيم وعقائد ونظم الإسلام، وعدم إمكان دراسته وتطبيقه بمعزل عنها.

ثانيا: الاقتصاد الإسلامي اقتصاد أخلاقي وواقعي في غاياته وفي طرقه كذلك.

ثالثًا: الاقتصاد الإسلامي اقتصاد متميز عن المذاهب الرأسمالية والشيوعية والاشتراكية وهو مخالف لها في أساسها النظري، مخالف لها في أساليبه، مخالف لها في غاياته وإن تشابهت بعض التفصيلات بين النظام الإسلامي وإحدى هذه النظم ليس إلا من قبيل تشابه عيون شخصين مثلاً دون أن تربطهما رابطة دم أو جنس.

رابعا: إن الاقتصاد الإسلامي لا يسمح بأي شكل من أشكال الاستغلال.

خامسا: إنه اقتصاد يحقق الحد المتوازن من الحياة الكريمة لكل فرد دون أن يضع عائقًا دون الارتفاع إلى آفاق عليا دون ظلم أو استغلال.

سادسا: إنه اقتصاد يضع على عاتق أولي الأمر إتاحة فرص العمـل لكـل قـادر والحاجة لكل محتاج حتى لا يبقى فقير أو عاطل في المجتمع الإسلامي دون النظر إلى دينه أو جنسيته.

سابعا: إنه اقتصاد مخطط بمعنى أنه يجعل للدولة الإشراف المركزي على الإنتـاج والتوزيع.

الهيكل العام للاقتصاد الإسلامي:

١. مبدأ الحرية الاقتصادية في نطاق محدود.
٢. مبدأ الملكية ذات الأشكال المتنوعة.
٣. مبدأ العدالة الاجتماعية.

مبدأ الملكية ذات الأشكال المتنوعة:

- **في الرأسمالية**: الملكية الخاصة هي المبدأ العام، والملكية العامة اسـتثناء لظـروف قاهرة.
- **في الاشتراكية**: الملكية العامة هي المبدأ العام، والملكية الخاصة اسـتثناء لظـروف قاهرة.
- **أما الإسلام**: فإنه يسمح بملكيات ذات أشكال متنوعة وليس لإحداها صفة المبدأ العام والأخريات استثناء بل بوصفها تعبر عن تصميم مذهبي أصيل قائم على أسس مذهبية ثابتة وموضوعة داخل إطارها.
- **الملكية العامة**: وهي عامة لمجموع المسلمين مثل الأراضي العامرة بشريًا حال الفتح الإسلامي (الأراضي الخراجية).
- **ملكية الدولة**: مثل الأنفال (كل الثروات الطبيعية من غابات ومعادن).
- **ملكية خاصة**: تكتسب فقط عن طريق العمل الاستثماري بما لا يهدد التوازن العام.مع ملاحظة أن الملكية الخاصة ذات مجال ضيق ويترتب عليها واجبات محددة تجـاه الله وتجاه الجماعة، والملكية الخاصة وكالة عن الله الذي استخلف الجماعة في الثـروة؛ الملكية الخاصة أداة وليست غاية في ذاتها وليست معيارًا للكرامـة أو الفـضل فـي المجتمع..

مبدأ الحرية الاقتصادية في نطاق محدد:

الإسلام لا يصادر الحرية الاقتصادية تمامًا كما تفعل الاشتراكية، كما أنه لا يتركهـا بدون حدود كما يملي النظام الرأسمالي.

ولكن الإسلام لا يعترف بالحرية الاقتصادية إلا في نطاق محدود ويجعل لها حـدودًا تتمثل في: -

١ ـ تحديد ذاتي:

نابع من أعماق النفس بناءً على التربية الإسلامية، وانتشار المفاهيم الإسلامية في المجتمع. يلاحظ أن التحديد الذاتي دون التحديد الموضوعي ظل هو الضمان الوحيـد لأعمـال البر والخير بين المسلمين بعد انتهاء تطبيق الشريعة الإسلامية وخسارة الإسلام لتجربته فـي الحياة، وفقدانه للقيادة السياسية والاجتماعية للحياة ...

٢ـ تحديد موضوعي:

أ- تشريعات محددة تمنع أعمالاً محددة مثل: الغش، والميسر، والربا، وغيرها.

ب- إشراف ولي الأمر على الممارسة الاقتصادية وإعطائها التوجيـه الـصحيح لصالح المجتمع وبما لا يهدد التوازن؛ فيمكن أن يؤمم أو يمنع من ممارسـة اقتصادية معينة حتى ولو كانت في أصلها مباحة والمعيار في هذا الأمر هـو مصلحة الأمة الإسلامية.

المشكلة الاقتصادية في الإسـلام وحلولها

تتمثل المشكلة الاقتصادية في نظر الرأسمالية في الندرة بمعنى عدم قـدرة المـوارد الطبيعية على تلبية احتياجات الإنسان المتجددة.

وتتمثل في الماركسية في التناقض بين قوى الإنتاج وعلاقات التوزيع.

أما في الإسلام:

فيقول الله تعالى: وآتَاكُم من كُل ما سَأَلْتُمُوه وإن تَعدواْ نعمتَ اللّه لا تُحـصوها إن الإِنسان لَظَلُوم كَفار (إبراهيم٣٤).

وتلك الآيات الكريمة تقرر في وضوح:

٤. أن الله تعالى قد خلق للبشرية من الثروات الطبيعية ما يلبي احتياجاتهـا جميعًـا دون قصور ونفاد.

أن المشكلة تكمن في الإنسان ذاته بسبب أنه ظلوم كفار:-

أ- كفار بعدم استخدامه الثروات الطبيعية، وعدم استثمارها بشكل علمي.

ب- ظلوم بعدم ممارسته عدالة التوزيع.

ولكن كيف عالج الإسلام هاتين القضيتين الأساسيتين وهي الإنتاج والتوزيع؟

أ- الإنتاج:

يدعو الإسلام إلى التنمية الاقتصادية بالتحريض على ذلك عقائديًا وفكريًا وتشريعيًا.

الإنتاج في الإسلام يخضع لمبدأ الإشراف المركزي.

للدولة دور قيادي في التنمية الاقتصادية.

الإنتاج يهدف إلى إشباع جميع حاجات الأفراد.

يرفض الإسلام إنتاج الموارد الكمالية أو نصف الضرورية إلا بعد اسـتكمال إنتاج الموارد الضرورية تمامًا.

يرفض المجتمع الإسلامي إنتاج أدوات الترف والمجون رفضًا تامًا.

ب- التوزيع:

العمل والحاجة هما أساسا التوزيع في الإسلام، ولقد نظم الإسلام التوزيع بشكل يضمن منع وقوع الظلم والاستغلال ولم يسمح بالتملك إلا بالعمل الاستثماري غير الاحتكاري، ومنع الإسلام التملك عن طريق الحيازة في الثروات الطبيعية، يلاحظ أن الحاجة تدخل في التوزيع لعدم قدرة بعض البشر أصلاً على العمل كالعاجزين مثلاً، كما أن بعض الناس ينتجون أقل مما يحتاجون بسبب ضعفهم، وقد جعل الإسلام لهؤلاء وأولئك الحق في إشباع حاجاتهم. وضمن لهم نصيبًا من الثروة.

حقوق الفرد في المجتمع الإسلامي

١. حق الحياة.
٢. حق الكرامة.
٣. حق الحرية (حرية العقيدة – حرية إبداء الرأي – حق النشر).
٤. حق العمل لكل قادر.
٥. حق التعليم والعلاج المجاني.
٦. حق كل مواطن (ذميًا كان أو مسلمًا) في المأكل والمسكن والمواصلات.
٧. حق كل مواطن في الزواج وتكوين أسرة.

والسؤال الآن كيف تستطيع الحكومة الإسلامية تحقيق ذلك؟؟

إذا قررنا أن المجتمعات البشرية لم تشهد الفقر والظلم الاجتماعي بسبب قلة الموارد ولكن بسبب سوء توزيعها فإن الأمر يبدو واضحًا أن الفقر المدقع لا يوجد إلا بسبب الغنى المترف.

كيف قضى الإسلام على الفقـر والاستغلال

مقولة إن الفقر ينشأ من قلة الموارد مرفوضة إسلاميًا بسبب كثـرة المـوارد التـي أتاحها الله سبحانه للبشر.

والفقر ينشأ إمّا من عدم الاهتمام بالتنمية أو عن سوء التوزيع، وبالنسبة للأمر الأول فالإسلام يحث على التنمية كما تقدم شرحه وعلى هذا يبقى أمر واحـد وهـو اسـتئثار قلـة بالموارد وحرمان الأغلبية الساحقة، أو ما يعبر عنه رجال الاقتصاد بالاستغلال الاقتـصادي والذي ينشئه:

أ- ممارسة البعض لأمور غير منتجة ما يشكل عبئًا على المجتمـع كممارسـة (الدعارة – والقمار) وغيرهما مما حرّمه الإسلام.

ب- ممارسة البعض لعمليات التهريب والرشوة والاتجار بقوت الشعب واحتكـار المواد الضرورية وهي أمور يعاقب عليها الإسلام ويتوعد من يفعلها.

ج- إثراء البعض عن طريق الربا وهو محرم إسلاميًا.

د- احتكار البعض للثروات الطبيعية وهو محرم شرعًا فإن هذه الثروات الطبيعية إما مملوكة ملكية عامة، أو مملوكة للدولة، أو مباحة إباحة عامة للجماهير ولا يصح فيها أخذ الفرد لأكثر من حاجته الشخصية فقط.

إن للإمام صلاحيات ضخمة بشأن اتباع الأسلوب الأمثل لاستغلال تلك الثروات بما يحقق مصالح الأمة.

ه- ممارسة البعض لأساليب الإنتاج الرأسمالي وبالتالي امتصاص فـائض قيمـة العمل المأجور لصالحهم.

والإسلام يرفض تملك الثروات الطبيعية عن طريقالاحتكار.

ويرفض الوكالة والاستثمار في استغلال الغابات مثلاً.

ومن هنا لم يترك الإسلام أمام الفرد إلا العمل المباشر كشرط للتملك.

و- لم يبق أمام الفرد لممارسة الملكية الخاصة إلا العمل المباشر الذي يقـوم بـه بنفسه – وهذا بالطبع محدود بالنسبة لأثره على التوازن الاجتماعي ومع هـذا رتب الإسلام على ذلك ظروفًا وشروطًا تمنع مـن خروجـه عـن الحـدود المرسومة له بل وخوّل الإمام حق تأميم أي ملكية إذا بدأت تمـارس إخـلالاً بالتوازن الاجتماعي.

فهرس

من هذا يتضح أن الإسلام قطع الطريق تمامًا على الاستغلال؛ وبالتالي لن يوجد فقر (لكثرة الموارد، وعدم وجود استغلال) أضف إلى ذلك تشريعات العدالة الاجتماعيـة تحـصل على منهج فذ في تحقيق الحقوق المشار إليها سابقًا، وخروج المجتمع السعيد إلى عالم الوجود.

العدالة الاجتماعية في الإسلام

الحديث عن العدالة الاجتماعية في الإسلام يعني أساسًا ممارسة الدولـة الإسـلامية لدورها في تحقيق الرخاء لكل مواطن، وإعطاءه الحق كما سبق في التعليم المجاني والعـلاج المجاني، وأن تكفل له الدولة المأكل والملبس والمواصلات كما سبق توضيحه. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ممارسة صلاحيتها بشأن منع الاستغلال وتحقيق التوازن الاجتماعي. وعلى هذا فإنه وبالإضافة إلى ما تقدّم فإننا بصدد بحث:-

١. التوازن الاجتماعي.
٢. الضمان الاجتماعي.

١ـ التوازن الاجتماعي:-

في مفهوم الإسلام (ألا يكون المال دولة بين الأغنياء) وهو عدالة توزيع الثـروة – وهو تضييق الفوارق بين طبقات الناس – هو أن نجعل الفرق بين أكثر الناس غنـي وأقلهـم غنى (وليس أفقرهم فليس في المجتمع المسلم فقير) فرقًا في الدرجة وليس تفاوتًا رهيبًـا كمـا نرى ونلمس في سائر الأنظمة الاقتصادية المعاصرة. والدولة تحقق ذلك عن طريق:-

أ- فرض ضرائب ثابتة تؤخذ بصورة مستمرة وينفق منهـا لتحقيـق ورعايـة التوازن العام.
ب- إيجاد قطاع لملكية الدولة وتوجيه الدولة لاستثمارها لأغراض التوازن.
ج- طبيعة التشريع الإسلامي الذي ينظم الحياة الاقتصادية في مختلف الأحوال.

والحكومة الإسلامية ملتزمة في هذا الإطار بضغط مستوى المعيشة من أعلى بتحريم الإسراف، وبضغط مستوى المعيشة من أسفل بالارتفاع بمستوى الأفـراد، علـى أن مفهـوم الإسلام للغنى ليس تلبية للحاجات الضرورية فقط بل أن يملك الإنسان ما يأكل ويلبس ويسكن ويتزوج ويحج ويتصدق أيضًا. فالفقير في نظر الإسلام هو من لم يظفر بمستوى من المعيشة يمكنه من إشباع حاجاته الضرورية والكمالية بالقدر الذي تسمح به حدود الثروة فـي الـبلاد، وبقدر ما يتسع مستوى المعيشة يتسع المدلول الواقعي للفقر فإذا اعتاد الناس مثلاً استقلال كل عائلة بدار أصبح حرمان عائلة من دار مستقلة مملوكة لهم لونًا من الفقر (أي إن الإسلام لـم يعط مفهومًا ثابتًا للفقر) وعلى هذا فالتوازن يعني إغناء كل فرد (مسلمًا كان أم ذميًا) بالقـدر الذي يتناسب وإمكانيات المجتمع في ذلك الوقت.

٢ـ الضمان الاجتماعي: -

هو ضمان الأمة لتلبية حاجات جميع أفرادها حتى تشيع بينهم الطمأنينة فيندفعوا إلى الإنتاج غير عابئين بالنتائج ما دامت حاجاتهم مكفولة أصلاً من قبل المجتمع، ويعتمد ذلك الضمان على:

أ ـ التكافل العام – فالمسلم أخو المسلم وكفالته واجبة عليه وعلى الإمام إجبار المسلمين على ذلك إذا لم يحققوها بأنفسهم؛ ومن هنا فإن على المسلمين ألا يظهر بينهم محتاج وإلا أثموا جميعًا وأصبح على الإمام إرغامهم على دفع غائلة الحاجة عن ذلك المحتاج.

ب ـ حق الجماعة في موارد الثروة وحيث إن الثروة أصلاً استخلاف من الله للجماعة فإن حق كل فرد في الجماعة في كفالة حاجته مصونة إسلاميًا وعلى الإمام:

١. أن يوفر العمل لكل قادر.
٢. أن يكفل المحتاج بالشكل الذي يغنيه وطبقًا لمفهوم الإسلام عن الغنى.

والسؤال الآن – فرضًا – إذا لم تكف تلك النظم لدفع الحاجة بسبب القحط أو المجاعة أو غيرها من الأسباب..؟؟

الجواب يتمثل في دراسة نموذج عمر بن الخطاب في مواجهة عام الرمادة وهو ما يلخصه القول: (إذا جاع المسلمون فلا مال لأحد).

المنظومة السياسية:

يقوم النظام السياسي الإسلامي على عدد من المحاور كالتالي:

٣. المسئولية الفردية: **﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾** (الأنعام ١٦٤)، **﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾** (المدثر ٣٨).

وكل إنسان مسئول في إطار معين "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الأمام راع ومسئول عن راعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئوله عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته والرجل راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" "حديث صحيح – تحقيق الألباني تخريج السيوطي في الجامع الصغير"

(٢)- تساوي الناس في الحقوق وعموم تلك الحقوق:

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (الحجرات ١٣٠)، وفي الحديث الشريف «لا فضل لعربي على أعجمي ولا لقرشي على حبشي إلا بالتقوى»، «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني مناف اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطالب لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية بنت عبد المطالب لا أغني عنك من الله شيئا يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا» حديث صحيح – صحيح الجامع الصغير للسيوطي – تحقيق الألباني.

والدعوة الإسلامية ذاتها مقدمة لكل الناس القوي والضعيف، الغني والفقير السيد والعبد، العربي والعجمي والرومي والحبشي **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون** (سبأ ٢٨٠).

(٣)- التضامن بين الرعية والتعاون على البر والتقوى:

يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب (المائدة ٢).

(٤)- الشورى:

وإذا كان النظام الإسلامي في كل تفصيلاته يقود إلى حرية التعبير فإن الشورى تحديدا أكثر التصاقا بتلك المهمة، ذلك أنها تجعل حرية التعبير فريضة على الأمام أن يطلبها من الرعية، وعلى الرعية أن تؤديها إلى الأمام، وإلى غير الأمام، فالنصيحة لله وللرسول وللأمام وللعامة والخاصة على حد سواء، والدين النصيحة كما هو معروف **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين** (آل عمران ١٥٩).

وهذا يعني أن الشورى فريضة بنص القرآن الكريم، وكذلك في الآية إرشـاد إلـى النبي ﷺ وإلى من بعده ألا يكونوا غليظ القلب أو مخيفا مرعبا، وذلك حتى يستطيع الرعية أداء النصيحة إليه بدون خوف، وفي القرطبي "الجامع لا حكام القرآن" "أن الشورى مـن قواعـد الشريعة وعزائم الأحكام، ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب وهذا لا خلاف فيـه

والْوالِداتُ يرضعن أولادهن حولين كاملين لِمن أراد أن يتم الرضـاعةَ وعلـى المولُود له رِزقُهن وكسوتُهن بِالْمعروف لا تُكلَّفُ نَفْس إِلا وسعها لا تُضار والِدةٌ بِولَدِها ولاَ مولُود له بِولَده وعلى الْوارِث مثْلُ ذَلِك فَإِن أَرادا فصالاً عن تَـراضٍ منْهما وتَشاورٍ فَلا جنَاح علَيهما وإِن أَردتم أَن تَستَرضعوا أَولادكُـم فَـلا جنَـاح علَيكُم إِذَا سلمتُم ما آتَيتُم بِالْمعروف واتقُوا اللهَ واعلمـوا أَن اللهَ بِمـا تَعملُـون بصير (البقرة ٢٣٣).

والله تعالى هنا يزكي الشورى بين الأزواج حتى في أشد حالات الخلاف، ومن ثـم فالشورى سياسية عامة بين الراعي والرعية، وسياسية خاصة بين الإنسان وزوجته، والفـرد وأسرته والآخرين والأصدقاء على حد سواء، والأثر الإسلامي يقول "ما خاب من أستشار بل إذا استشارك أحد ولم تحسن له المشورة كنت خائنا للأمانة كما قرر الشرع في الإسلام وهناك سورة كاملة من القرآن الكريم تسمي الشورى وجاءت فيها الآية **والذين يجتَنبون كَبـائِر الإِثْمِ والْفَواحشَ وإِذَا ما غَضبوا هم يغْفرون ۞ والذين استَجابوا لِربهم وأَقَـاموا الصلاةَ وأَمرهم شُورى بينَهم ومما رزقْنَاهم ينْفقُون ۞ والذين إِذَا أَصابهم الْبغْي هم ينتَصرون** (الشورى ٣٧-٣٩)، وهذه الآية تجعل الشورى من صفات المؤمنين وتقرنها بالصلاة وترك الآثام وغيرهما من صفات الإيمان.

وفي إطار المدح فإن الله تعالي ذكر في القرآن في إطار سرده لقصة بلقيس ملكة سبأ أنها قالت **قَالَتْ يا أَيها الْملأُ أَفْتُوني في أَمرِي ما كُنتُ قَاطعةً أَمرا حتى تَشْهدونِ** (النمل٣٢).

وفي الحديث الشريف:

يقول الرسول ﷺ لكل من أبي بكر وعمر «لو اجتمعتا في شورة ما خالفتكمـا» رواه ابن حنبل، وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال "ما رأيت أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ" (رواه الترمذي) وقول الرسول «إذا استشار أحدكم المسلم فأشار علية بغير رشد فقد خانه». رواه البخاري وأبن حنبل وفي الأحداث التي حدثت في حياه الرسـول ﷺ الكثيـر

الذي يؤكد على وجوب الشورى فقبل معركة بدر عند الرسول ﷺ مجلسا استشاريا لتبادل الرأي مع المسلمين، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ثم قال عمر بن الخطاب فقال وأحسن ثم قام المقداد بن عمر فقال "يا رسول الله، إمض لما أراك الله، فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسي "فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال رسول الله ﷺ خيرا ودعا له، ولم تقتصر استشارة الرسول في هذا الأمر علي هؤلاء الصحابة الذين هم من المهاجرين، بل أحب أن يستشر الأنصار أيضا فقال "أشيروا على أيها الناس"وكان يقصد الأنصار وفطن إلى ذلك قائد الأنصار وحامل لوائهم سعد بن معاذ، فقال والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال أجل. قال "فقد أمنا بك فصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقي بنا عدونا غدا، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقربه عينك فسر بنا على بركة الله.

فسر رسول الله ﷺ بقول سعد، ثم قال «سيروا وابشروا، فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله فكأني أري مصارع القوم»(٧)

وسار الجيش المسلم إلى بدر، وهناك نزل في مكان معين فاعترض على ذلك الصحابي الحباب بن المنذر، وسأل الرسول ﷺ هل هذا المنزل بأمر من الله أم أنه الرأي والمشورة، فافهمه الرسول ﷺ أنه الرأي والمشورة، فأشار الحباب بن المنذر أن ينزل الجيش المسلم على البئر فيمنع الكفار من الماء ويستفيد به وحده، فقبل الرسول ﷺ تلك المشورة وأمر بتنفيذها.(٨)

وهكذا فإن الشورى كانت سلوكا نبويا منهجيا، في كل الحالات بل في حالات الحرب والطوارئ.

---

(١) صفي الرحمن المبار كفوري – الرحيق المختوم – دار النشر والتوزيع الإسلامية القاهرة – ط ٢٠٠٥

(٢) ابن عبد البر – "الدرر في اختصار المغازي والسير – طبعة القاهرة ١٩٦٦

وفي غزوة أحد، تم عقد مجلس استشاري لتبادل الرأي بين المسلمين وكان من رأي الرسول ﷺ إلا يخرج المسلمون من المدينة وأن يتحصنوا بها، وأشار آخرون بـالخروج مـن المدينة ألحوا في ذلك، وتنازل الرسول ﷺ عن رأيه واستجاب لمشورة هـؤلاء،[٩] ورغـم أن رأيه كان الصحيح .

ولم يكن أمر الشورى بالنسبة للرسول ﷺ قاصرا على أمور السياسية والحرب فقط، بل كان يستشر في شئونه الأسرية أيضا، فقبل أن ينزل الوحي ببراءة السيدة عائشة من حديث الافك رعا الرسول ﷺ كل من على بن أبي طالب، وأسامة بن زيد يستشيرهما في فراق أهله.

وفي طريقة التنبيه إلى وقت الصلاة، أستشار الرسول ﷺ المسلمين في ذلـك فأشـار البعض إلى استخدام البوق وآخرون باستخدام الناقوس، فأشار عليه عبد الله بـن زيـد "مـن الأنصار"، وعمر بن الخطاب "من المهاجرين" بالأذان المعروف الآن فأمر رسول الله ﷺ بلالا به فأذن ، رواه ابن ماجة.

وفي دولة الخلفاء الراشدين كان الأمر على نفس الطريقة، فكل خليفة مـن الخلفـاء الراشدين كانت له مجموعة من كبار الصحابة يستشرهم ولا يقطع أمرا دونهم، سواء في أمور الحرب والسياسية، أو أمور الاجتهاد في الفقه أو القضايا والمنازعات أو حتـى فـي شـئون الصحة والمرض، فالخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه استشار في أمـور كثيـرة منهـا المواريث، والقضاء، وكان دائم السؤال عن الأمور التي تواجهه، فإذا وجد إجابة في كتاب الله أو سنة النبي ﷺ أخذ بها، وإن لم يجد خرج فسأل المسلمين، إما عمر بن الخطاب فقد استشار في أمور منها تعزير شارب الخمر، والأخذ بنظام الدواوين. وتطوير جهاز الدولـة وإنـشاء جيش نظامي، وكذلك في الموقف من الوباء الذي وقع في الشام.

ومن مأثورات عمر بن الخطاب في هذا الصدد "من بايع أميرا عن غيـر مـشورة المسلمين فلا بيعة له، ولا بيعة للذي بايعه" رواه البخاري وأبن حنبل.

وكان الصحابة أيضا يفعلون ذلك يروي عياض الأشعري فيقول "شهدت اليرمـوك، وعلينا خمسة أمراء، فأصبنا أموالا فتشاوروا" رواه ابن حنبل.

---

(٣) صفي الرحمن المبار كفوري – مرجع سبق ذكره

في نقد الديمقراطية

الحضارة الغربية حضارة إغريقية وثنية ذات مسحة أو قشرة مسيحية مزيفة، وهـي حضارة تقوم على القهر والعنف والنهب والعنصرية وبديهي أنهـا تختلـف عـن الحـضارة الإسلامية التي تقوم على التوحيد والعدالة والحرية وعدم العنصرية [١٠] ..... ومن ثم فإن كل ما تفرزه الحضارة الغربية من إفرازات أو نظم سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية سوف يحمل بالضرورة السمات الثابتة لتلك الحضارة وإذا نظرنا إلى إفرازات الحضارة الغربية نجد أنهـا كلها عنصرية بلا استثناء مثـل الفاشـية والنازيـة والـشيوعية والاشـتراكية والـصهيونية والرأسمالية والديمقراطية والليبرالية ..... الخ [١١] وكذا فإن كل تلك المنظومات أو الحكومات والدول التي قامت على أساسها سواء كانت ملكية أو جمهورية، يسارية أو يمينية كلها مارست الاستعمار والنهب والمذابح ..... بل إن ما كان منها يساريا كان أشد قسوة، فأكبر المذابح التي مارستها فرنسا في الجزائر تمت على يد حكومات الاشتراكية.

ومن المفيد هنا أن نقرر حقيقة أخرى، أنه ربما تكون هناك مناطق تتشابه فيها بعض المنظومات الغربية مع المنظومات الإسلامية ولكن هذا لا يعني أن هناك تطابقا أو هناك صلة عضوية بين الطرفين[١٢] فهي على غرار تقاطع دائرتين في قوس ولكن لكل دائـرة مركـز مختلف وقطر مختلف ومن ثم محيط ومساحة مختلفين ، وهكذا فإن هؤلاء الذين يتحدثون عما يسمي باشتراكية الإسلام أو الديمقراطية الإسلام[١٣] أو غيرهما يقعون في خطأ منهجي كبير، ونحن نرفض هذا بالطبع، من باب أنه خطأ علمي، ومن باب ضرورة تحرير المصطلح وعدم الوقوع في إرهاب هذا المصطلح، ولأننا ندرك أن هناك خلاف جوهري في المناهج والغايات، وفي الوسائل والأهداف بين المنظومة الإسلامية السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرهـا من المنظومات.

---

(10) المواجهة بين الإسلام والغرب. د/ محمد مورو – الدار المصرية للنشر والتوزيع – القاهرة – ١٩٩٣م.

(11) ليس هنا محل تقصي مظاهر العنصرية في تلك الإفرازات في هذا البحث، وذلك موضوع طويل يمكن تتبعه في مصادر أخرى للمؤلف نفسه أو لغيره.

(12) الإسلام بين الشرق والغرب – علي عزت بيجوفيتش – ترجمة محمد يوسف عدس – مؤسسة بافاريا – ١٩٩٧م.

(13) الأستاذ/ محمود عباس العقاد – وهو مفكر كبير جدًا ومدافع عن الإسلام دفاعًا مجيدًا، وقع في هذا الخطأ واستخدم مصطلح ديمقراطية الإسلام في أكثر من كتاب، بل أن له كتابًا بعنوان "الديمقراطية في الإسلام" صدر في طبعات كثيرة أخرها عن دار نهضة مصر – القاهرة ٢٠٠٥م.

من البديهي الآن. وبعد خبرات طويلة تراكمت سياسياً وثقافياً أن أحدا في الشرق أو الغرب لم يعد يتحدث عن إمكانية وجود حرية في المنظومة الفاشية أو النازية، أو الـشيوعية، رغم وجود تنظير فلسفي حول مزاعم وجود تلك الحرية في تلك المشروعات، ولكـن النقـد النظري والتجربة الحية أطاحت بذلك الآن... لم يعد هناك إذن إدعاء وجود حرية من أي نوع كان إلا في الديمقراطية والليبرالية، ومن ناحيتنا وناحية كل مفكر منصف فهي موجـودة فـي النظام الإسلامي أيضا ، على أننا أمام محاولة لحسم المعركة قبل أن تبدأ بنوع من المغالطـة، فالبعض يحاول أن يتحدث عن الحضارة الغربية وكأنها هي وحدها الحضارة، ومن ثم فأما أن تقبل قيم الحضارة الغربية وإما فأنت معادي للحضارة والتقدم وبربري وأحيانا إرهابي، وكـذا فإن الحديث نفسه يدور حول أن الديمقراطية تعني الحرية،وهذا غير صحيح بـالمرة، نحـن نؤمن أن الحضارة الغربية حضارة فاسدة وقيمها فاسدة ولا يمنع هذا أن يكون فيهـا بعـض الإيجابيات ولا يمنع أن تتشابه في بعض دعواتها مع النظام الإسلامي ولكن هذا على طريقـة اتفاق شجرتين في لون الورق ولكن البذور مختلفة والثمار مختلفـة وأشـياء أخـرى كثيـرة مختلفة، ربما كالاختلاف بين شجرتي الزقوم والزيتون. وكذلك لا يمنع وجود أفراد وجماعات داخل المجتمع الغربي ربما تكون أكثرية أو أقلية تتصف بالاتصاف والعدل. ولكن هذا شذوذا يؤكد القاعدة، وهم أنفسهم يرفضون بشكل ما المنظومة الغربية والمهم أنهم ليـسوا أصـحاب القرار، الغربي، أو ما يسمي الظاهرة في مجراها الرئيسي "mean stream" كلها تقـود إلـى العنصرية القهر والعنف، فدعم الصهيونية مثلا مستمر منذ قرن على الأقل بعد وقبـل إنـشاء إسرائيل برغم ممارسات علنية يومية فيها قمع هائل للإنـسان الفلـسطيني والعربـي، وكـذا العدوان على العراق وأفغانستان...الخ.

استخدام مصطلح الديمقراطية الإسلامية خطأ علمي وسياسي أيضا وهو نـوع مـن الاستلاب الحضاري، ونحن نري أنه لا حرية إلا في الإسلام لأنه فطـرة الله النـاس عليهـا وبديهي أن الله يصنع للإنسان ما يصلحه لأنه الذي خلقة ويعلمه حقيقته وما يصلحه وما يفسده "ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير"وأن الديمقراطية لم ولن تحقق الحريـة، ربمـا تكـون أفضل أو أسوأ من الشيوعية أو الفاشية أو النازية ولكنها في النهاية تظل إفرازا غريبا يحمـل نفس مساويء الأرضية الحضارية التي أفرزتها، الحضارة الغربية في صورتها الديمقراطيـة أو تحت حكومات ديمقراطية مارست الاستعمار، وهو نوع من قهر حرية الآخرين، ومن ثـم فهي ديمقراطية مزيفة، وهي نفسها التي مارست نهب المستعمرات ومن ثم فهي ديمقراطيـة ناهبه، وهي نفسها التي أنشأت إسرائيل وسلحتها ومولتها وإسرائيل تمارس الديكتاتورية والقهر على مدار اليوم والساعة منذ أكثر من ستين عاما ومن ثم فهي ديمقراطية عنصرية وأصولية،

لأنها تدعم دولة يقوم قانون الجنسية فيها على أساس الدين اليهودي، فكل يهودي متي وطأت قدمه أرض إسرائيل فهو يحصل على الجنسية فورا، وهي ديمقراطية مارست إبادة الهنود الحمر في الأمريكتين، والأبورجيين في أستراليا "بعشرات الملايين"فهي ديمقراطية عنصرية بامتياز وهي فوق هذا وذاك مستمرة في تلك الأمور منذ أكثر من قرنين على الأقل ولم ولن تكف عن ذلك لأنها سمة أصلية في تلك الحضارة، آخرها "العدوان على العراق وأفغانستان".

الديمقراطية مشتقة من كلمة يونانية [١٤]، ومن ثم فإن تعريبها صعب شديد الصعوبة، لأنها تعبر عن سياق اجتماعي وحضارة معينة مختلفة عن السياق الحضاري العربي، وفي الحقيقة فإن تلك الصعوبة تظهر في شيوع مجموعة من الأخطاء العلمية، فالذي يقومون بتطبيق قواعد علم الاجتماع الغربي الذي ظهر في سياق حضاري وثقافي واجتماعي معين على ظواهر عربية وإسلامية نشأت في سياق اجتماعي آخر يقعون في أخطار فادحة، فالأصولية مثلا، والدين والدولة وغيرها من المصطلحات تعني هناك غير ما تعني في المشروع الإسلامي تماما، ويجب التعامل مع أي ظاهرة بقواعد علم الاجتماع الذي ينبع من نفس الأرضية الحضارية، ولا يعني هذا أن علم الاجتماع العربي أو الإسلامي أفضل من علم الاجتماع الغربي، ولكن من العلمية والموضوعية استخدام كل علم فيما يصلح له من ظواهر ليقوم بتفسيرها وهذا معروف في العلوم الطبيعية ذاتها، فقانون نيوتن مثلا يصلح لتفسير الحركة في السر عات العادية، إما السر عات التي تصل إلى سرعة الضوء مثلا فلا يصلح معها قوانين نيوتن، بل قانون النسبية لأينشتين مثلا ...... المهم أن الديمقراطية نظام يوناني أخذته أوروبا في إطار بعث الثقافة الإغريقية والرومانية في بداية عصر النهضة، نظام الديمقراطية اليوناني نشأ في القرن الثامن قبل الميلاد على يد ليكرغ، وكان يقوم على انتخاب عدد من الزعماء عن طريق وضع الناس في مكان معين، ويوضع عدد من المراقبين في مكان قريب بحيث يسمعون الصوت ولا يرون المنظر، ثم يتقدم المرشحون واحدا واحدا ، فكلما تقدم واحد منهم سجل المراقبون نصيبه من جلبة الأصوات الخارجية، ولعل هذا نفسه ما تطور في نظام التصويت فيما بعد ... ونلاحظ هنا أن الذين كان يسمح لهم بالتصويت هم الناس الذين يملكون سلاحا، ثم بعد ذلك من كان له نصاب مالي معين، مع حرمان الآخرين من التصويت، وفي روما القديمة كان يتم التصويت بواسطة الوجهاء فقط مالا أو سلاحا أما السكان غير الرومان عموما فلا حقوق سياسية لهم، أي أنها ديمقراطية عنصرية في أصلها، وحتى بعد أن أخذت أوروبا هذا النظام فإن الجوهر لم يتغير كثيرا، فالعمال في إنجلترا لم يأخذوا حق الانتخاب ألا في سنة ١٨٦٧، وذلك لأنهم أصبحوا قوة لازمة للدولة في المصانع،

---

(14) هي كلمة ديموس.

ولم يحصل عمال الريف على هذا الحق ألا بعد ١٨ سنة من هذا التاريخ، والمرأة الإنجليزية لم تحصل على حق التصويت ألا بعد الحرب العالمية الأولي لأنها اشتغلت بأعمال المصانع أثناء غياب الجند في ميادين القتال.

ويلاحظ الأستاذ العقاد أن الحكومة الديمقراطية نشأت بين الاسبرطيين أصحاب النظم والإجراءات الإدارية ولم تنشأ بين الأثينيين أصحاب الفلسفات والبحوث النظرية، ويعلق الأستاذ عباس محمود العقاد على ذلك بقولة "فمن الواضح أن الديمقراطية قديمها وحديثها لم تقم على الحق الإنساني المعترف به لكل إنسان وأنها كانت إلى الضرورة العملية أقرب منها إلى المبادئ الفكرية والأصول الخلقية.

وهكذا فإن هناك فارق جوهري بين الحرية في المنظومة الإسلامية، القائمة على الحق الذي أعطاه الله للإنسان، وعلى وجوب ذلك في كل الظروف وليس استجابة لظروف وتوازنات.

الحرية في الإسلام غير الحرية في الديمقراطية، فالحرية بغير إيمان هي حركة آلية حيوانية أقرب إلى الفوضي والهياج فيها إلى الجهد الصالح ولأن الحرية في الديمقراطية لا تستند إلى قواعد أخلاقية إنسانية أو ذات طابع إيماني ديني، فإنها لا تحرم مثلا لعب القمار أو شرب الخمر أو الزنا أو الشذوذ، بل تعتبر هذه حريات شخصية وبديهي أن فيها من الفساد والإفساد وضياع الوقت والجهد، وغيبوبة العقل ماله أثر سلبي على المجتمع واستقراره ورخائه، ربما تؤدي إلى انهياره في النهاية.

يقوم النظام الديمقراطي، كما يقدم له فلاسفته على الإيمان بالفرد أيمانا لا حد له، وأنه إذا تركت له الحرية الكاملة، فأنه ينحو بصورة طبيعية إلى مصلحة المجتمع .... وبديهي أن هذا كلام نظري غير صحيح وهو أقرب إلى الميتافيزيقا الذي يدعي فلاسفة النظام ذاته أنهم يرفضونها، أنه ينطلق من فكرة مسبقه هي فكرة أن الإنسان سيتصرف بصورة صحيحة دائما، وأنه مجبول على ذلك، وبديهي أن التجارب البشرية لا تقول بهذا، فالإنسان فيه خير وشر، وهو يختار الخير والشر، وبديهي أن البعض يختار الخير والآخر يختار الشر، والفرد نفسه لا يكون خيرا بالكامل أو شريرا بالكامل **ونَفْسٍ وما سواها ۞ فألهمها فُجورها وتقْواها ۞ قد أفْلح من زكاها ۞ وقد خاب من دساها** (الشمس ٠٠٧-٠١٠).

وبديهي أيضا أن وضع عقوبات على السلوك ليس وحدة كافيا لمنع تجاوز الإنسان، والذي يحدث عادة أن الأفراد لا يتصرفون بطريقة صحيحة، ومن ثم فإن المحصلة حدوث تفاوت طبقي رهيب، بل واستغلال الأغنياء أموالهم للاستبداد بالفقراء، والأقوياء بالضعفاء،

http://tahasafeer.blogspot.com/

ويصبح المجتمع جحيما كما حدث في التجربة الليبرالية الغربية، بل هذه المجتمعـات ذاتهـا تذهب لتنهب الآخرين "الاستعمار" والمحصلة ضياع الحرية الحقيقية علـى مـستوي الأفـراد وعلى مستوى الدول بعضها ببعض بل القارات بعضها ببعض، وقد لجأت الكثير مـن تلـك الدول إلي وضع ضوابط كثيرة ألغت بها مفهوم الحرية المطلقة للفرد، وأعطـت للحكومـات الكثير من السلطات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومن ثـم نـسفت الأسـاس النظـري للديمقراطية والليبرالية ..... وبديهي أن نظام الحرية في الإسلام ينطلق من أنها حق أعطـاه الله للإنسان، وأن هذه الحرية لا تحقق بإطلاق حرية الفرد وفق ضوابط سياسـية وأخلاقيـة معينة ومن ثن فإن التجربة الإنسانية أثبتت حتى الآن أن المفهوم النظري والتطبيقي للحريـة في الإسلام هي الوحيدة الصالحة حتى الآن.

النظام الليبرالي إذن يقوم على الحريات الأربع، وهي الحرية الـسياسية، والحريـة الاقتصادية، والحرية الفكرية، والحرية الشخصية، وهذه الحريات ثبت في الواقـع التطبيقـي الأوروبي ذاته أنها مجرد أوهام، فالحرية السياسية يتم مـصادرتها علـى طريـق الأعـلام والتوجيه والضغط على الناخبين، وشراء الأصوات والخداع ، وفي المحصلة فـإن المجمـع الصناعي العسكري في الدول الديمقراطية هو الذي يوجه السياسية ويحقق ما يريد في النهايـة من فوز هذا أو ذاك من الأفراد أو الأحزاب في الانتخابات، ويعترف كبار منظري العلمانيـة والليبرالية والمؤمنين بالحضارة الغربية بذلك، فالدكتور فؤاد زكريا يقول في كتابة الـصحوة الإسلامية في ميزان العقل "إن النظام الديمقراطي مبني أساساً على قيم فردية على الرغم مـن المظهر البراق الذي يتخذه هذا النظام حين يؤكد أنه المدافع عن الحريـة الفرديـة، وحقـوق التعبير والكلام إلى آخر هذه الحريات الليبرالية المعروفة التي يتخذها الموافقون علـي هـذا النظام محورا لدعايتهم، وعلى الرغم من هذا كله فإن الحرية التي يدافع عنها هذا النظام هي في واقع الأمر حرية استغلال للضعيف، وكل ما عدا ذلك مـن حريـات تظـل ذات طـابع شكلي"(١٥)

والحرية الاقتصادية تؤدي في النهاية إلى وجود تفاوت طبقي رهيب وتـؤدي إلـى شقاء الفقراء وزيادة اكتناز الثروة ،وأن ذلك يستمر بمتوالية هندسية، والمحصلة النهائية هو أن يصبح نسبة قليلة من سكان العالم في رخاء ٢٠٪ يحتكرون ٨٠٪ من الثروة فـي حـين أن هناك آلاف الملايين من البشر تحت خط الفقر، وهذه النسبة مرشحة للأتساع طبعا، بل وحتى داخل مجتمعات ال٢٠٪ تلك هناك نسبة ١٠٪ تسيطر على ٩٠٪ من الثـروة، وباسـتمرار المتوالية ستصبح الثروة في الدنيا عموما ، وفي كل بلد خـصوصا مملوكـة ل ١٪ والبـاقي

---

(15) الصحوة الإسلامية في ميزان العقل – د/ فؤاد زكريا – دار الثقافة الجديدة – القاهرة ١٩٩٠م.

س ره ف

http://tahasafeer.blogspot.com/

فقراء، وبديهي أن ذلك أدي إلى الاستعمار أولا، ثم أدي إلى الشقاء الاجتماعي ثانياً، ويمكن أن يؤدي إلى انفجارات هائلة اجتماعية، بل وبيئية لأن الحرية الاقتصادية والتنافس تؤدي إلى استنزاف البيئة، والإنتاج علي حساب التوازن البيولوجي والمناخي ومن ثم حدوث كوارث من التلوث وغيرها والحرية الشخصية تؤدي إلى انتشار الدعارة والشذوذ والخمر والميسر، وكلها أمور تقود إلى تفكك المجتمعات وهكذا فإن الديمقراطية فاسدة في أصلها النظري، وفاسدة في تطبيقاتها الواقعية على حد سواء.

http://tahasafeer.blogspot.com/

العولمة – الليبرالية الجديدة

بعد سقوط الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية، ظهرت أفكار من أمثال نهاية التاريخ، والانتصار النهائي للديمقراطية والرأسمالية، وبدأ نشر فكرة تقول أن النظام الصحيح، وأن الحضارة هي الديمقراطية والرأسمالية، وأنه يجب عدم الاعتراف بالحدود القومية والوطنية وإلغاء كل القيود الجمركية، واعتبار العالم قرية صغيرة وأن يصبح الإنتاج ذو طابع عالمي، وبعيدا عن الشعارات فإن المطلوب هو تحويل العالم إلى حلبة مصارعة بين قزم اقتصادي وعسكري وعملاق اقتصادي وعسكري وأن النتيجة معروفة سلفًا وهي جعل النهب والظلم والاستعمار أمرًا مشروعًا ومعترفًا به عالميًا.

والغريب هنا أن الدعوة إلى حرية المرور والتجارة وإلغاء الحواجز الجمركية واعتبار العالم قرية صغيرة اقتصرت على حرية رأسمال والبضائع فقط، في حين أن المفروض طالما أن العالم أصبح واحد ولا داعي للحديث عن السيادة الوطنية أن يفتح الباب أمام مرور الإنسان من هذا البلد إلى ذاك، ولكن الذي حدث مزيد من القيود على هجرة الإنسان وتنقله، بل ورصد ميزانيات وعمل شرطة وجيوش لمنع ما يسمى بالهجرة غير الشرعية، وكأن الإنسان في هذا النظام العالمي الجديد أقل قيمة من السلع المسموح بمرورها دون قيد أو شرط.

تزامن مع ذلك ظهور ما يسمى في بلادنا بالليبراليين الجدد [١٦] وهم من بقايا الماركسيين السابقين، أو المطبعين مع الكيان الصهيوني، وهم لا علاقة موضوعية بينهم وبين الليبرالية، فهم يفتقدون لأبسط قواعد الليبرالية وهي الاعتراف بالأخر فهم يرون حرمان الاتجاه الإسلامي من حق العمل العلني والقانوني، ويدعون إلى إلغاء فكرة السيادة الوطنية – مع أن الليبرالية ارتبطت في أوروبا بفكرة السيادة الوطنية وظهور الدول القومية – ويدعون إلى نبذ فكرة الانتماء الديني والقومي والوطني ومن ثم التعايش مع الإسرائيليين والتعامل معهم، وهؤلاء مجرد طابور خامس تستخدمه الولايات المتحدة للضغط على الحكومات وعلى كل حال فإن التبشير بالديمقراطية المزعومة الذي قامت به الولايات المتحدة – رغم إدراكنا منذ البداية أنه نوع من الكذب لا أكثر ولا أقل – إلا أن الولايات المتحدة ذاتها اتجهت في النهاية إلى تسوية الأمور مع أنظمة الحكم التي كانت تطالبها بالديمقراطية، وباعت من ثم ما يسمى بالليبراليين الجدد في سوق السياسة بثمن بخس.

---

(16) مجلة البيان – العدد ٢١٩ – ذو القعدة ١٤٢٦هـ - ديسمبر ٢٠٠٥م.

س ر ه ف

http://tahasafeer.blogspot.com/

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- **تفسير الطبري** " جامع البيان " أبي جعفر ، محمد بن جرير الطبـري ٢٢٤ – ٣١٠ هـ – دار الفكر – بيروت.
- **تفسير القرطبي** " الجامع لأحكام القرآن " أبي عبد الله محمد بـن أحمـد الأنـصاري القرطبي توفى ٦٧١ هـ – دار الكتب المصرية.
- **صحيح البخـاري** للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري توفى ٢٥٦ هـ ـ ـ – طبعة دار الشعب – القاهرة ١٩٥٥ مـ ـ.
- **صحيح مسلم** للإمام مسلم بن الحجاج القشيري ٢٠٦ – ٢٦١ هـ – طبعة دار الشعب – القاهرة ١٩٥٥ مـ ـ.
- **صفي الدين المباركفوري الرحيق المختوم** – دار الريان – القاهرة ١٩٨٥ مـ .
- **ابن عبد البر الدرر في اختصار المغازي والسير** – طبعة القاهرة ١٩٦٦ مـ .
- **ابن الأثير أسد الغابة في معرفة الصحابة** – طبعة دار الشعب – القاهرة ١٩٦٨ مـ .
- الماوردي الأحكام السلطانية – مطبعة السعادة ١٩٠٩ مـ – مصر .
- **د / توفيق الشاوي فقه الشورى والاستشارة** – دار الوفاء – مصر – ١٩٩٢ مـ .
- **د / صبحي عبده سعيد السلطة السياسية في المجتمع الإسلامي** – طبعة ١٩٩٦ مـ – الكتاب الجامعي – جامعة القاهرة – مصر .
- **عباس محمود العقاد حقائق الإسلام وأباطيل خصومه** – نهضة مصر – القـاهرة – طبعة ١٩٨٩ مـ .
- **عباس محمود العقاد التفكير فريضة إسلامية** – دار نهضة مصر – القاهرة – طبعة ٢٠٠٠ مـ .
- **عباس محمود العقاد الإنسان في القرآن الكريم** – نهضة مصر – القاهرة – طبعـة ٢٠٠٣ مـ .
- **عباس محمود العقاد الديمقراطية في الإسلام** – نهضة مـصر – القـاهرة – طبعـة ٢٠٠٥ مـ .
- **د/ عبد القادر عودة الإسلام وأوضاعنا القانونية** – دار المختار الإسلامي – القـاهرة – ١٩٧٧ مـ .
- **د/ عماد الدين خليل القيادة والسلطة في التاريخ الإسلامي** – مكتبة النور – القـاهرة -طبعة ١٩٨٥ مـ.

- د/ **محمد أبو زهرة المذاهب الإسلامية** – دار الفكر العربي –القاهرة -١٩٨٠ .
- **الشيخ محمد الخضر حسين الحرية فـي الإسـلام** – دار الاعتـصام – القـاهرة – ١٩٨٢ مـ .
- **الشيخ محمد الغزالي الإسلام والأوضاع الاقتصادية** – نهضة مـصر – القـاهرة – طبعة ٢٠٠٢ مـ .
- **الشيخ محمد الغزالي الإسلام والمناهج الاشتراكية** – نهضة مصر – القاهرة – طبعة ١٩٧٧ مـ .
- **الشيخ محمد الغزالي الإسلام والاستبداد السياسي** – نهضة مصر – القاهرة – طبعة ٢٠٠٤ مـ .
- **د/ محمد ضياء الدين الريس النظرية السياسية الإسلامية** – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – طبعة ١٩٦٠ مـ .
- **د/ محمد عمارة الإسلام وحقـوق الإنـسان** – دار الـشروق – القـاهرة – طبعـة ١٩٨٩ مـ .

http://tahasafeer.blogspot.com/